



كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

# قاسيون

اسبوعية - 24 صفحة • العدد (50) ل.س • دمشق ص.ب (35033) • تليفاكس (00963 11 3120598) • بريد الكتروني: general@kassioun.org

## مستوى الجاهزية السوري... للكوارث الصحية!

[12]



### الافتتاحية

### الحضارة البشرية أمام مفترق طرق

تتصاعد الأزمة العالمية يوماً بعد آخر، بمركباتها الاقتصادية والسياسية والإنسانية. ويتصدر فيروس كورونا العناوين رغم أن تأثيره ليس أقل كارثية على الإطلاق من تأثير أزمة أسعار النفط. وإذا كان بعداً الأزمة الاقتصادية الظاهران، والمتمثلان في كورونا والنفط، يعلان فعلهما في ظل النظام الدولي القائم، فإن أبعاداً أكثر عمقاً هي ما تشكل مستقبلات هذه الأزمات، والثغرات الكبرى التي تنفذ منها. على رأس تلك الأبعاد، بنية النظام الدولي القائم ككل، بما هي بنية رأسمالية بالمعنى العام، وأكثر من ذلك، بما هي تجسيد لأعمق درجات التوحش النيوليبرالي، وخاصة في الغرب.

ولعل من فضائل الأزمة الراهنة، أنها فتحت عيون سكان الكوكب على اتساعها للنظر مجدداً في ما كان يعتبر خلال العقود القليلة الماضية في إطار المسلمات التي لا جدوى من النقاش فيها. وعلى رأس تلك «المسلمات»، النيوليبرالية بوصفها «نهاية التاريخ».

ابتداءً من الثمانينات، جرى ترويج النيوليبرالية ومحاولة تعميمها، ضمن قالب من المصطلحات المتعلقة بالحرية الفردية وحقوق الإنسان وضرورة تحييد دور الدولة الاجتماعي بشكل كامل أو شبه كامل لمصلحة الشركات الكبرى.

يرى الناس اليوم بأعينهم، وفي الغرب قبل الشرق، الشركات الكبرى التي سلّمت الحكومات أمرها لها، وهي تمارس أشد درجات الوحشية واللامبالاة تجاه مصائب الناس ومشاكلهم؛ بيرونها وهي تضخ ترليونات الدولارات لإنقاذ البورصة، بينما ترفض حتى إعطاء إجازات مدفوعة للعمال لحمايتهم من الوباء.

بالتوازي مع ذلك، يُشرق أمام الناس نموذج مختلف، نموذج لطالما أصقت به الدعاية الغربية شتى أنواع الشرور. ويسطع كبديل إنساني لمنظومة لم يعد تناقضها محصوراً في العلاقة بين قلة قليلة تملك القسم الأعظم من ثروات الأرض وتلقي الأغلبية الساحقة في هاوية الفقر والبطالة والأمراض، بل وبات تناقضها واضحاً ومكشوفاً مع الطبيعة ككل، ليس فقط في تلويثها وتعجرها تجاهها فحسب، بل وفي استهانتها بحياة الناس وبمصيرهم.

في أتون الأزمة الراهنة، يتضح أيضاً أن شتى أنواع الألعاب المالية التي أمنت بالتصافر مع الحروب والكوارث مخارج مؤقتة للمنظومة من أزماتها، بانتت اليوم عديمة الجدوى، ولعل أوضح ما يقال في هذا الصدد: هو أن سياسات التيسير الكمي والضح الدولار المجنونة التي يقوم بها الفيدرالي، تثبت انعدام جدواها، بل ومساهمتها في تعميق الأزمة بشكل إضافي ومتسارع.

التوازن الدولي الجديد الذي طالما أكدت قاسيون على محوريتها في قراءة كل ما يجري في العالم وفي سورية، يخطو الآن خطوة عملاقة إلى الأمام. وريثما تكتمل هذه الخطوة التاريخية، فإن من الضروري مراجعة كل «المسلمات» التي سادت عبر عقود مضت، بما في ذلك في سورية نفسها. في سياق مراجعة «المسلمات»، فإن تعطيل الذهاب باتجاه الحل السياسي الذي يمارسه متشددون من الطرفين، وبوسائل متعددة تتلاقى في أهدافها وإن بدت متناقضة في مظهرها، ستؤدي إلى كشف ذلك التلاقي بصور أكثر جلاءً ووضوحاً أمام عيون السوريين، وهو أمر لا بد منه في سياق الدفع نحو تطبيق شامل للقرار 2254 الذي يمثل تطبيقه الحصّة المترتبة علينا كسوريين، في إنجاز الخطوة العالمية الكبرى نحو عالم جديد.

#### شؤون استراتيجية



كوبا وأمريكا: من يشفي العالم ومن يقتله؟

20

#### شؤون اقتصادية



الوباء في سورية... طبقي أيضاً والخلاص طبقي

13

#### شؤون محلية



الجوع أخطر من المرض..

10

#### ملف «سورية 2020»



«تجاوب حاد»... وانهيار يلوح في الأفق!

06

# عمالة الأطفال بين القانون والواقع



## بصراحة

■ محمد عادل اللحام



### عمال بلا أجر

ترخي أزمة الكورونا بمصائبها على جميع نواحي الحياة التي نعيشها حتى بأدق تفاصيلها، لتجعلنا مكبلين وحائرين بالخطوات التي من المفترض القيام بها لدرء ذلك الوباء الذي يوصف بالميت، والذي لا بد من مواجهته بإجراءات احترازية مستفيدين من تجارب شعوب سبقتنا قامت بمواجهته.

الحكومة أعلنت عن جملة من الإجراءات الاحترازية لتجنب الناس إمكانية الإصابة بعدوى هذا الوباء، ومنها: إقفال الأماكن التي يتجمع بها الناس عادة كالمطاعم والمقاهي والمتنزهات العامة. وهذا ضروري من وجهة نظر الاحتياط من الإصابة، ولكن أمام هذه الإجراءات الضرورية للسلامة العامة هناك من سيعاني كثيراً. بالإضافة لمعاناته بسبب الأوضاع التي تعيشها الناس، ومنهم العمال الذين يعيشون كخاف يومهم، ومعيشتهم مرتبطة بيوم العمل الذي يعملون به، وإذا لم يعمل يعني هذا كارثة بالنسبة له ولعائلته، وتكون بهذا قد زدنا الطين بلة بالنسبة لهؤلاء العاملين بأجر يومي، كعمال البناء والمطاعم ولا يوجد من يقدم لهم رغيغ خبز كما يقال «يسون به رفقهم»، وليست هناك ضمانات اجتماعية كصناديق البطالة والمساعدة تعينهم على فقدانهم للعمل في هذه الكارثة الإضافية.

اشترطت وزارة السياحة على أصحاب المطاعم أن يدفعوا أجور عمالهم أثناء فترة الإغلاق لمطاعمهم إذا أرادوا الاستفادة من إعفاء الوزارة لهم من الضريبة عن الشهر الثالث من هذا العام، ولكن هذا الاشتراط غير ملزم لأصحاب المطاعم والفعاليات الأخرى، ليبقى العمال المسرحون من عملهم - بسبب الكورونا - بدون سند. كذلك لا توجد لدى النقابات صناديق حماية من الكوارث في مثل حالتنا هذه لتساعد العمال على ما أصابهم.

العمال سيكونون بحالة يرثى لها بسبب الحجر الصحي وبسبب إغلاق أماكن عملهم، حيث يتحمل معظمهم بالإضافة لتكاليف المعيشة التي ارتفعت وتضاعفت بسبب ارتفاع الأسعار الجاري الآن مع الإجراءات الكورونية وسيتملكون إضافة لذلك تكاليف أجور منازلهم الشهرية التي لا بد من دفعها ولن يسامحهم أصحاب البيوت ويقفروا أوضاعهم التي هم فيها. الحكومة عليها مسؤولية حماية هؤلاء العمال، وأن تؤمن لهم حاجاتهم الضرورية حتى تنجلي الأزمة، ويعودوا إلى عملهم كما كانوا يفعلون فهل تستجيب الحكومة لهذا المطلب؟

نتيجة للسياسات الاقتصادية الليبرالية التي طبقت في البلاد منذ مطلع الألفية والتي ما زالت مستمرة حتى الآن، والتي أوصلت آلاف الأسر إلى حافة الجوع، ولم يعد دخل أو اثنا كافيين لتأمين أبسط مقومات الحياة وتحول العديد من الأطفال إلى سوق العمل تاركين مدارسهم وأحلامهم الصغيرة ليحملوا عناء تأمين لقمة الخبز لأسرهم، عدا عما سببته الحرب من نزوح وفقدان المعيل، ووجد بعض الأطفال أنفسهم في موقع المسؤولية وتحمل أعباء الحياة.

### ■ ادیب خالد

إضافة إلى استغلال أرباب العمل لهذه الظروف وتشغيل الأطفال بأبسط الظروف وبأبخس الأجور إضافة إلى غياب المحاسبة من قبل السلطات المعنية لأرباب العمل على مخالفتهم لأحكام قانون العمل رقم 17 لعام 2010.

فهناك المئات من الأطفال ممن يعملون تحت سن الخامسة عشرة بشكل مخالف للقانون، وفي أعمال لا تقوى عليها أجسادهم، فمن العتالة في سوق الهال إلى إشارات المرور وبيع الدخان والخبز، إلى عمال نظافة في البلديات!!

### عمالة الأطفال في القطاع العام

مجلس مدنية التل على سبيل المثال لا الحصر يشغل عبر منعهه الأطفال الصغار بين 10 أعوام و11 عاماً و12 عاماً إضافة إلى تشغيل النساء وكبار السن في أعمال النظافة وجر العربات والمكنسة بمبلغ 1000 أو 1500 ليرة فقط في اليوم، في ظروف الطقس القاسية صيفاً وشتاءً، وقد أثيرت هذه القضية من قبل أحد الناشطين في المدينة، وقام المتعهد بفصل هؤلاء الأطفال من عملهم فور انتشار الموضوع في الرأي العام.

### قانونياً

صدر عام 2002 المرسوم الجمهوري رقم 379 الذي انضمت بموجبه سورية إلى البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل الذي يمنع منعاً باتاً تشغيل الأطفال تحت سن 15 ويضع ضوابط محددة وواضحة على تشغيل الأطفال بين سن 15 و 18 سنة. قانون العمل رقم 17 لعام 2010 نص في المادة 113 منه على أنه: يمنع تشغيل الأحداث من الذكور والإناث قبل إتمام مرحلة التعليم الأساسي أو إتمام سن الخامسة عشرة من عمرهم أيهما أكبر.

### الواقع أقوى من القوانين

لكن يبقى الواقع الاقتصادي أقوى من القوانين مهما كانت مثالية، فظروف العائلات التي دفعت أطفالها إلى العمل تتحمل مسؤولياتها الحكومة عبر سياساتها الاقتصادية التي أفقرتهم وأجبرت أطفالهم على ترك مدارسهم والتوجه نحو سوق العمل، هذه هي أسباب عمالة الأطفال التي لم يلحظ أسبابها الجوهرية أحد، بل يبقى الموضوع بالنسبة للبعض مجرد حالة خاصة كما تحدث معاون وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل الذي قال لبرنامج الحق على إذاعة هوا أرابيسك إنه لا علم للوزارة بقضية تشغيل الأطفال من قبل «بلدية التل» وفور وصول تقرير

هذه الحالة للوزارة سيتم التواصل مع وزارة الإدارة المحلية ومحافظة ريف دمشق للنظر فيها، واستطرد قائلاً إننا نحن هنا أمام حالة خاصة في ظاهرة تشغيل الأطفال من قبل جهة عامة وهي بلدية التل، ولكن هذه الحالة ليست خاصة فمعظم المتعهدين مع البلديات يشغلون الأطفال والنساء وكبار السن في أعمال النظافة وتحت نظر البلديات وخاصة في منطقة الغوطة الشرقية، ومع أن عملهم ليس سراً على أحد سوى على بعض وزارات الدولة، حيث ينتشر العشرات من الأطفال في مكب قمامة باب شرقي ولم تحظهم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وما زالت تدعي أنها حالة خاصة!!

ناهيك عن تستر رؤساء البلديات عن تشغيل الأطفال، وعن الاستغلال وظروف العمل القاسية التي يعملون بها. طبعاً المشكلة لا تكمن في منع تشغيل الأطفال، ولا في تطبيق نصوص القانون التي تحرم تشغيل الأطفال، بل في مراجعة السياسات الاقتصادية التي أجبرت الأسر على تشغيل أبنائهم ومنعهم من تكملة تعليمهم، هذه السياسات التي أفقرت العباد هي التي حرمت الأطفال من الطفولة وحوكلتهم إلى أرباب أسر مسؤولين عن إطعام أسرهم.

معظم المتعهدين مع البلديات يشغلون الأطفال والنساء وكبار السن في أعمال النظافة وتحت نظر البلديات وخاصة في منطقة الغوطة الشرقية

## نظره إلى تقرير الاتحاد العام 2



كنا قد استعرضنا في العدد السابق بعضاً من التقارير التي قدمها التقرير العام المقدم للدورة السابعة والعشرين للاتحاد العام لنقابات العمال، ونتابع في هذا العدد من فاسيون نظرة أخرى لبعض من التقارير المقدمة للمؤتمر

### ■ نيل عكام

ونبدأ بتقرير شؤون العمل، لقد استعرض تقرير شؤون العمل واقع العمل وسوق العمل في البلاد، واعترف بنسبة بطالة بحدود 9,5 % وقال: يعاني سوق العمل في الاقتصاد السوري من خلل مزمن ومشكلات عديدة وقام بتوصيف هذه المشاكل وعبر عنها من خلال - زيادة عدد المتعطلين من قوة العمل - انخفاض نسبة التعليم المهني - ارتفاع نسبة الإناث في قطاع الدولة - انخفاض قوة العمل في قطاع الزراعة - ارتفاع نسبة الداخلين إلى سوق العمل وخاصة من حملة الشهادة الإعدادية - زيادة نمو القطاع غير المنظم - انخفاض معدل النمو الاقتصادي - توقف قطاع الدولة عن تحديث منشآته وتطويرها - ارتفاع نسبة البطالة - انخفاض مستوى الأجور في قطاع الدولة - انخفاض المستوى التعليمي لقوة العمل - ومن الإجراءات المطلوبة لتحسين واقع قوة العمل في سوق العمل حسب التقرير: إيجاد قاعدة بيانات عن سوق العمل واحتياجاته تنظيم مخرجات التعليم بما يتناسب مع احتياجات سوق العمل - ومن المقترحات أو المهام الجديرة بالاهتمام والتي يجب على النقابات في هذه الدورة وضع جل اهتمامها بها: توحيد قوانين العمل

في البلاد لما له من أهمية كبرى في وحدة الطبقة العاملة، كما يساهم في وحدة التنظيم النقابي ويقطع الطريق على محاولات شقها. غير أن تقرير شؤون العمل لم يستطع أن يحدد بوضوح وجراة أسباب هذا الخلل والمشكلات المزمنة في سوق العمل، والتي جوهرها تعود إلى تلك السياسات الاقتصادية التي عملت الحكومات المتعاقبة على انتهاجها والاستمرار بها حتى اليوم، رغم عدم فاعليتها لا بل هي السبب الأساس لهذه المشاكل والخلل الذي تعاني منه سوق العمل والاقتصاد الوطني، ومن الملاحظ في هذا التقرير هناك محاباة واضحة لتلك السياسات التي

تعمل عليها الحكومة، ونرى ذلك من خلال بعض المقترحات والتوصيات التي قدمها التقرير وكمثال على ذلك: تعديل ومراجعة قوانين العمل بحيث تكون جاذبة للاستثمار. إعادة النظر بالمادة 137 من القانون الأساسي للعاملين في الدولة رقم / 50 / حيث كان من الأجدى التوصية أو المطالبة بإلغائها. كما أن هناك العديد من المطالب والمقترحات التي لم يتم إنجازها وحلها منذ عشرات السنين، ومازال العمال في مؤتمراتهم السنوية يطالبون بها، وعادت لتقرير شؤون العمل من أجل العمل على حلها، ومثال على ذلك: اللباس والوجبة الغذائية وتعويزات طبيعة العمل والإضافي

بالغاء مواد التسريح التعسفي الواردة في قانون العمل رقم / 17 / وحتى في القانون رقم / 50 / كانت مطالبة خجولة، واكتفى بالمطالبة بإعادة النظر فيها، كما أغفل العديد من الحقوق للطبقة العاملة، وفي مقدمتها: حق الإضراب السلمي. هذا وكان التقرير قد ربط معظم مصاعب الطبقة العاملة وحقوقها المهضومة وخاصة الأجر وعدم إمكانية حلها بالأزمة القائمة الآن في سورية. إن الأزمة التي تمر فيها البلاد من مسبباتها السياسات الاقتصادية التي انتهجت خلال العقود السابقة، وكان من الضروري لاتحاد نقابات العمال أن يعمل على تغيير تلك السياسات الاقتصادية تغيير جذرياً.

والاختصاص وغيرها. أما تقرير التشريع والشؤون القانونية فقد استعرض هذا الباب قوانين العمل النافذة وما يرتبط بها من قوانين وقرارات، وقدم المقترحات على هذه القوانين كقانون العمل رقم / 50 / والقانون رقم / 17 / وقانون التنظيم النقابي وقانون التأمينات الاجتماعية، والتي يعمل الاتحاد العام على متابعتها. إن معظم مقترحات التعديل على مواد قوانين العمل تصب في الشكل العام للقانون مع بعض الترويض البسيطة ولا تمس جوهر مصلحة الطبقة العاملة لتثبيت حقوقها، والتي ضمنها لها الدستور والشرائع الدولية، وعلى سبيل المثال: لم يطالب التقرير

## الطبقة العاملة



### إضراب عمال الصيانة في نفط مارب

دخل عمال الصيانة المركزية في الشركة الوطنية لإنتاج واستكشاف النفط - صافر - يوم الخميس 19 آذار الجاري بإضراب شامل عن العمل للمطالبة بحقوقهم ومستحققاتهم المنهوبة التي لم يحصلوا عليها منذ العام 2014م، وكذلك بحل المشاكل المتعلقة بتوفير السكن والتأمين الصحي وغيرها حتى الآن. وقالت اللجنة النقابية: إن العمال سيواصلون الإضراب الشامل عن العمل داخل الشركة حتى يتم صرف كامل مستحققاتهم المنهوبة والزيادات السنوية التي حرموها منها، وقالت: إن العمال تعرضوا لجملة من المضايقات، إضافة إلى محاصرتهم من قبل قوات عسكرية، حيث تعرضوا للمحاصرة من قبل أفراد تلك القوة ومنعتهم من الدخول والخروج لشراء احتياجاتهم الرئيسية من شراب وغذاء في محاولة للضغط لإفشال إضراب العاملين بالقوة.



### إضراب عمال ميناء في البرازيل بسبب فيروس كورونا

دعت نقابة عمال الرصيف المستقل وتمثل حوالي 5000 عامل من أعضائها لتنظيم إضراب في أكبر ميناء في أمريكا اللاتينية بسبب مخاوف بشأن خطر الإصابة بالفيروس التاجي، وقالت رئيس نقابة عمال الرصيف في ميناء سانتوس في البرازيل: إن الإضراب سيجري أمام مقر النقابة والميناء يوم 23 آذار الجاري. ويعتبر الميناء الأكبر في البرازيل لتصدير البن والسكر وفول الصويا والذرة والقطن. وقالت النقابة: إن العمال معرضون للخطر في أكبر ميناء في أمريكا اللاتينية ويخطب نفس الشيء على أسرهم والمجتمع في منطقة سانتوس، أما المنظمة التي تمثل مشغلي الموانئ في ولاية ساو باولو فلم تعلق على تهديد الإضراب.



### إضراب كورونا للأحوال المدنية الجزائرية

غياب الوقاية من كورونا يدفع موظفي الأحوال المدنية ببني عزيز في سطيف الجزائرية لإضراب عن العمل، وجاء هذا الإضراب احتجاجاً على غياب تدابير الوقاية من فيروس كورونا، وعدم تقديم وسائل وأدوات الوقاية من كامات وقفازات ومعقمات للموظفين، وهو الأمر الذي قد يتسبب في تعرض العمال للخطر وانتقال العدوى، خاصة كونهم يعملون في اتصال مباشر مع المواطنين الراغبين في استخراج مختلف الوثائق يومياً. هذا وقد أعلن الموظفون عن عدم التحاقهم بالعمل حتى تتم الاستجابة لمطالبهم التي قالوا إنها ضرورية، وطالبوا بتعقيم الإدارات المختلفة وتوفير أدوات الوقاية، خاصة مع الارتفاع في عدد المصابين بالفيروس في هذه الفترة، في الوقت الذي يجد فيه المواطنون صعوبة في الحصول على القفازات والكامات.



### عمال وحدة تربية الدواجن الجزائرية في إضراب مفتوح

دخل عمال وحدة تربية الدواجن - في بلدية المعاريف الواقعة جنوب عاصمة ولاية المسيلة الجزائرية - في إضراب مفتوح، مطالبين المسؤولين بالتدخل لإنقاذ الشركة. وقال المضربون: إن الأوضاع في وحدة تربية الدواجن لا تنجى بالخير، جراء التصرفات التعسفية غير المعقولة وغير المهنية، والتسلط على العمال - إضافة إلى تأخر رواتب العمال، والتي بلغت عدة أشهر، كما طالب المضربون بتثبيت العمال المتعاقدين الذين لديهم أكثر من سنة ونصف من العمل، ولديهم خبرة مهنية تشهد لهم بذلك، وكذلك بإعادة النظر في الظروف المهنية والاجتماعية للعمال. وطالبوا المعنيين بلجنة تحقيق للوقوف على الحالة الكارثية والمزرية التي وصلت إليها الوحدة وخاصة مرض الدجاج.

# 82 عاماً عمر النقابات.. التقدم والتراجع



لعب دور المواجهه لتلك السياسات رغم النيات التي تسود بعدم الرضا عنها، ولكن المواجهة المستندة إلى العلاقة التشاركية مع الحكومة وسياساتها لم تؤد سوى إلى إتهام الشركات والمؤسسات وتجريدها من أسباب تطورها المفترض، وأن الفساد المستشري في مفاصلها لن ينيهه كل ما يقال عن مكافحة الفساد اللفظية التي تطلقها الحكومة بين الغينة والأخرى، ومكافحة الفساد الكبير الذي قدر قبل الأزمة بما يتجاوز 30% من الدخل الوطني، وهذا رقم ليس بالهين لبلد مثل بلدنا مورد محدود. ومن المفترض أن تسخر جميعها باتجاه تأمين حاجات الشعب السوري، بما فيها تطوير الاقتصاد الحقيقي الصناعي والزراعي وكذلك الحاجات المعيشية والتعليمية والسكن والصحة وغيرها من قضايا تعرفها النقابات ويعرفها القاصي والداني، وهذه من المعارك الكبرى التي لا بد أن تخاض من أجل أن نرتقي إلى مستوى تضحيات شعبنا وما عاناه وما يعانيه الآن بسبب الأزمة الوطنية، التي كانت إحدى مسبباتها تلك السياسات الاقتصادية والاجتماعية.

إن الطبقة العاملة السورية واعية لمصالحها وحقوقها، وستعرف كيف تدافع عنها بكل الأشكال التي خبرتها من تجاربها القديمة والتي ستدعها في نضالها الحالي.

تحية إلى الطبقة العاملة السورية في عامها الجديد، وتحية إلى كل الكوادر النقابية الصادة للرياح العاتية القادمة من صوب قوى الفساد الكبير.

أفقد الحركة النقابية خيرة مناضليها المجريين في الدفاع عن حقوق ومطالب الطبقة العاملة، وتم ذلك العمل بالإعلان عن التوجهات «الاشتراكية» وأن المعامل للعمال وغيرها من الشعارات التي كانت سائدة إلى وقت قريب، التي استمرت معها عملية التغيير الممنهج لواقع الطبقة العاملة التنظيمي والنضالي في الدفاع عن مصالحها وحقوقها التي أخذت تتآكل بسبب السياسات الاقتصادية التي تم تبنيها، وطالما تم التبني لتلك السياسات فإن التغيير سيظل كل ما هو معيق لتطبيق تلك السياسات.

في البيان الذي أصدره الاتحاد العام لنقابات العمال بمناسبة ذكرى التأسيس أشاد بدور الطبقة العاملة التاريخي في المراحل المختلفة من أجل عملية البناء، وكذلك أوضح موقفه من أن النقابات ستصعد لأي توجه يمس قطاع الدولة، وستسعى للنقابات لتطويره وتحسين أدائه، وهذا الموقف جيد من حيث المبدأ، ولكن السؤال الذي يطرح، وهو: كيف سيتم ذلك وما هي الأدوات التي يمتلكها من عملية المواجهة تلك؟ وهل الشراكة مع الحكومة هي إحدى تلك الأدوات التي سيتم الاعتماد عليها في الدفاع عن قطاع الدولة؟

تجربة النقابات خلال العقود الفائتة تقول: إن السياسات التي تم تبنيها من الحكومات المتعاقبة والمستندة لتبني اقتصاد السوق وعلاقاته المتوحشة تجاه حقوق ومطالب فقراء الشعب السوري، تلك التجربة تقول: إن النقابات لم تكن تقدر على

اكتنف نشوء النقابات في المراحل الأولى تعقيدات كبيرة بسبب تعقيدات الوضع السياسي الذي كان سائداً مع وجود الاحتلال الفرنسي، وما فرضه من قرارات قمعية على مجمل الشعب السوري والحركة الوطنية للحد من تأثيرها المباشر على وجوده الاحتلالي لبلدنا، أي أن تلك القرارات والممارسات كانت الغاية منها إطالة عمره الاستعماري في بلدنا، ولكن شعبنا العظيم تمكن من كسرها والإطاحة بها، وتابع مقاومته واستنهض قواه المختلفة بما فيها الطبقة العاملة السورية التي كانت جنينية في تكوينها التنظيمي.

## ■ عادل ياسين

المطلوبين في تلك المرحلة. حققت الطبقة العاملة ضمن الشروط التي فرضتها العديد من المكاسب في الحقوق والمطالب وعلى رأسها حقها الشرعي في أن تمثل مصالح الطبقة العاملة وتدافع عنها بكل الوسائل، بالرغم من آلة القمع ومحاولة الاحتواء التي كانت تمارسها بعض القوى.

التخوم السياسية والحقوق الديمقراطية كانت واضحة بين الطبقة العاملة وحركتها النقابية وبين أعدائها الطبقيين المرتبطين بهذا الشكل أو ذاك بقوى المستعمر الفرنسي وأدواته المحليين، لهذا كانت مطالب العمال واضحة وحراكمهم من أجلها واضحاً بالرغم من الصعوبات العديدة التي كانت تواجه حراكمهم الإضرابي على الأرض.

1938 تم الإعلان عن اتحاد عمالي موحد يفقد نضال الطبقة العاملة في مختلف العهود السياسية لما قبل الوحدة السورية المصرية، حيث فرضت على الطبقة العاملة وحركتها النقابية مسارات أخرى لعبت دوراً مهماً في تغيير شكل نضالها المرتبط عملياً بعملية الاحتواء التي جرت من خلال فرض النموذج المصري في العمل النقابي المستند إلى عقلية الحزب الواحد في قيادة العمل النقابي، وهذا

وهذا طبيعي كون العلاقات السائدة في تلك المرحلة هي العلاقات الزراعية والصناعية كانت هامشية متكونة من العمل الحرفي الذي كان سائداً في الصناعات النسيجية. بالأغلب بعدها بدأت تدخل العلاقات الرأسمالية تبعاً إلى الاقتصاد السوري بدخول الشركات الأجنبية ومعها بدأت الطبقة العاملة بالتكون والكبر في هذه التجمعات، وبدأ معها العمل من أجل أن تكون للعمال نقابات تدافع عن حقوقهم ومصالحهم، حيث جاء هذا التكون والتطور في عمل النقابات مع تطور النضال الوطني المقاوم الذي أخذ أشكالاً متعددة من الكفاح المسلح إلى العمل الجماهيري المباشر في الشارع، وهذا لعب دوراً مهماً في تكون وعي العمال المقاوم لاستغلالهم وهضم حقوقهم مما دفع العمل النقابي خطوات إلى الأمام لوجود عوامل إضافية ساعدت الطبقة العاملة في بلورة مواقفها، وهو الدور الذي لعبه الحزب الشيوعي السوري من حيث القيادة المباشرة لنضال العمال أو مساعدتهم في صياغة برنامجهم السياسي والاقتصادي والنقابي الذي جرت على أساسه التعبئة والتنظيم



**إن الطبقة العاملة السورية واعية لمصالحها وحقوقها وتعرف كيف تدافع عنها بكل الأشكال التي خبرتها من تجاربها القديمة والتي تدعها في نضالها الحالي.**

# الأمل بالخلاص من منظومة الموت: عالم آخر ممكن



عندها، إذ أشارت طريقة استجابة المنظومة النيوليبرالية لأزمة فيروس كورونا غضب الكثيرين، وهذا مفهوم، لأن خطر الفيروس واضح للعيان، والناس عموماً لا يسامون في المسائل التي ترتبط بقائهم على قيد الحياة بهذا الوضوح. ولكن كم من الأعمار تسرق منّا هذه المنظومة و«نحن في غفلة»؟

تغيّر المناخ، أزمتات الدورات البيولوجية، تلوث المحيطات، التغيرات في نوعية التربة، والتلوث الكيميائي الصناعي، الحروب، فقدان الضمان الاجتماعي والصحي، التدمير الممنهج للبيئة، اعتماد الوقود الأحفوري كمصدر للطاقة وعرقلة التوجه نحو الطاقة النظيفة والمتجددة التي تتناقض في جوهرها مع فكرة السعي نحو الربح الأقصى... وغيرها الكثير من العوامل التي ينتج عنها تقليل وسطي العمر لدى المليارات من البشر في جميع أنحاء العالم.

وعندما نقول: إن وضع حدّ للاثار الكارثية الناجمة عن الممارسات المذكورة أنفاً يشترط بالضرورة تكبيل منظومة الربح الاستغلالي، فإن ذلك يعيدنا - مرة أخرى - إلى مقولة: «إما الاشتراكية وإما الغناء». في الواقع، نحن نقف عند مفترق الطرق هذا، وإن نظرنا إلى مستوى الدمار الذي سببته الرأسمالية للبشرية والكوكب من جهة، وإلى وصول هذه الرأسمالية ذاتها إلى حائط مسدود من جهة أخرى، يمكن القول: إننا نضع قدماً في الخيار الأول وأخرى في الخيار الثاني، وعلى أساس الخطوة اللاحقة يتحدد مستقبل البشرية.

معلومات مزللة حول انتشار فيروس كورونا في أوروبا...

## دروس كورونا

أعاد فيروس كورونا إلى الأذهان الحقيقة بأن الحياة البشرية في هذا العصر متشابكة ومتراصة، مترابطة إلى ذلك الحد الذي يجعل من مجرد النظر إلى أنفسنا على أننا أفراد أو دول متميزون ومنعزلون نوعاً من الوعي الزائف، وأن هذا الترابط الذي نعيش فيه، يفرض علينا أن نرفع عالياً قيم التضامن العالمي. وجدد الفيروس الفكرة القائلة بأن هناك أشياء في هذا العالم لا يمكن لها أن تكون سلعا، وأن تسليعها القائم اليوم يتناقض في الجوهر مع الحقوق الطبيعية للكائن البشري. كما كشف الحقيقة بأن هذه المنظومة التي تسود العالم والتي تستطيع أن تنفق تريليونات الدولارات على التسليح، ومثلها لإنقاذ البنوك والنخب المالية، هذه المنظومة تقف عاجزة في حالات الطوارئ الإنسانية، منظومة أقل ما يقال فيها: إنها منظومة انعدام الأمن.

أما الفكرة التي تتحفر في الوعي العام اليوم، فهي أنه حين يطار دنا الموت لن نلجأ إلى البنوك ولا للشركات الخاصة، إنما نحتاج، موضوعياً، إلى جهاز دولة قوي يضع مصلحة الناس فوق أي اعتبار، جهاز دولة أثبتت التجربة أن وجوده ضماناً للحفاظ على حياة الملايين من البشر من أنياب قوى السوق والشركات الكبرى.

## وسائل عدة للقتل

أخيراً، ثمة نقطة لا بد من الوقوف

الخداع العالمي في أعلى مستوياته: بينما يضطر الملايين من الناس للانعزال في منازلهم، يجدون أنفسهم وجهاً لوجه مع سيل من الدعاية التي تزعم أن السبب الأساسي في الأزمة الاقتصادية العالمية التي نعيشها هو فيروس كورونا، الفيروس المتهم بحصد آلاف الأرواح حول العالم، دون أن يعذب أحد نفسه عن السؤال عن دور المنظومة الرأسمالية في ارتفاع عدد الوفيات، وعن تفسير ارتفاع أعداد الضحايا في إيطاليا مقارنة بنسب الوفيات في دولة بحجم الصين.

## أحمد الرز

عندما أبلغت إيطاليا عن وجود قفزة في عدد الإصابات لديها قبل أسابيع، قابلت الدول الأوروبية ذلك بالتجاهل، ووجدت إيطاليا نفسها وحيدة تقريباً في مواجهة المرض، وصولاً إلى مرحلة الارتفاع الكارثي في أعداد الوفيات لديها، والاضطرار لاختيار من سيحصل على الرعاية الطبية من بين المصابين ومن سيرتك لمصيره في ظل شح اللوازم الطبية.

نعي التضامن الأوروبي جاء بكلمات أكثر حدة على لسان الرئيس الصربي، ألكسندر فوسيتش، الذي قال: إن أوروبا امتنعت عن بيع بلاده اللوازم الطبية الضرورية، مبرزاً الفارق النوعي بين النمط الأوروبي في العلاقات، ونموذج الصين التي أرسلت شحنات كبيرة من المعدات، وفرقاً طبية لمكافحة المرض في صربيا وغيرها من الدول الأوروبية. ومن المثير للانتباه أن «الإعلام المركزي الأوروبي» لم يستطع هذه المرة أن يخبئ خلف قشرة «الكفاءة والمهنية» المعتادة، وانتهج في تغطيته للمجريات نهجاً أكثر سوءاً بمرات من نشرات الأخبار في دول العالم «المتخلف»: بينما كانت أعداد الضحايا تسجل قفزات كبيرة، كان الإعلام الأوروبي يؤكد لمتابعيه أن روسيا تتدخل من خلال نشر

إن تدقيقاً في السياسات النيوليبرالية التي تسود العالم، والتي تضع الربح محمداً أساسياً قبل أي اعتبار آخر، يسمح لنا بالكشف عن الطبيعة المميتة لهذه المنظومة. حيث لم تعد كلمات مثل «التقشف» و«الدين العام» كلمات مجردة بالنسبة لملايين الناس، وبات مفهوماً ما الذي تعنيه «وصفات» وشروط صندوق النقد والبنك الدوليين والمؤسسات المالية الكبرى في العالم، التي كانت تشتترط على الدول الأفقر أن تخفض الإنفاق على القطاع الصحي وتقلل عدد العاملين فيه وتحول الاستثمار في البنى التحتية والمعدات الطبية إلى استثمارات أكثر ربحاً، وغيرها الكثير من الشروط التي تدفع بمواطني هذه الدول نحو الهلاك بشكل مباشر وغير مباشر.

## ضربة في وجه الغرب

تعدّ أوروبا الآن مركزاً لانتشار فيروس كورونا، حيث تفيد الأنباء بارتفاع عدد الوفيات في إيطاليا وحدها ليتجاوز نظيره في الصين. والملفت في طريقة تعاطي أوروبا مع المرض، هو أن هذا الأخير استطاع أن يعرّي تماماً الأكاذيب الداعية حول «التضامن الأوروبي». وهنا يكفي أن نذكر أنه

جدد الفيروس  
الفكرة القائلة  
بأن هنالك أشياء  
في هذا العالم  
لا يمكن لها أن  
تكون سلعا وأن  
تسليعها القائم  
اليوم يتناقض  
في الجوهر  
مع الحقوق  
الطبيعية للكائن  
البشري

التدقيق في  
السياسات  
النيوليبرالية  
التي تسود  
العالم والتي  
تضع الربح محمداً  
أساسياً قبل أي  
اعتبار آخر يسمح  
لنا بالكشف  
عن الطبيعة  
المميتة لهذه  
المنظومة

# «تجاوب حاد»...

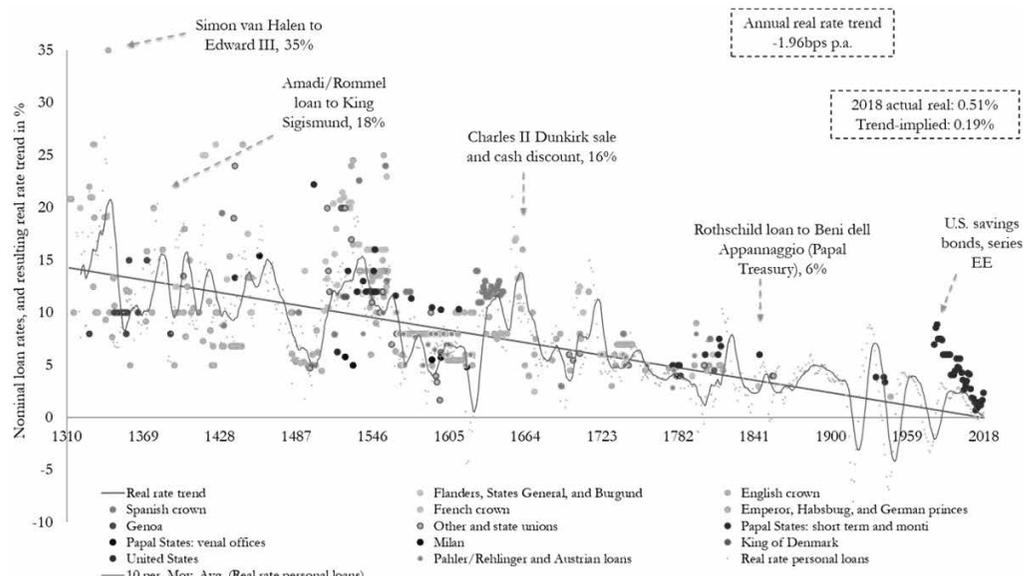


ضح الدولار في البورصة، وتخفيض معدل الفائدة إلى الصفر، هدفه عادة هو تنشيط السوق وتنشيط الإنتاج. ولكن هذا الأمر بات مشكوكاً في قدرته على حل المشكلة حتى لو افترضنا أن كورونا ليست موجودة، إذ إن تخفيض الفيدرالي معدل الفائدة إلى الصفر هذه المرة، ورغم أنه إجراء مكرر شكلياً، لكنه يظهر الآن بوصفه خضوعاً لنتيجة حتمية للتطور التاريخي لانخفاض معدل الربح عبر عمر الرأسمالية منذ بواردها الأولى في القرن 14... (يمكن العودة إلى مادة «معدل الفائدة» كعب أخيل الرأسمالية، لتفاصيل أكثر عن هذه النقطة... أي أن تصفير الفائدة أشبه بالقدر الذي لا راد له، والذي لا يمثل إعلان الفيدرالي عنه، سوى اعترافاً إجبارياً بذلك القدر. إذاً، كورونا تدفع نحو تخفيض الإنتاج، وأزمة أسعار النفط تدفع نحو تخفيض الإنتاج. كورونا تتطلب مزيداً من الإنفاق، أزمة أسعار النفط تتطلب مزيداً من الإنفاق. تراكبت الموجتان وتزامنتا عند قمتيهما، لتنتجا معاً قمة أكثر شدة... لتنتجا تجاوباً حاداً له مفعول صاعقة، ويكفي لانهيار جسور ومبان ومنظومة بأكملها... بفعل فاعل!

بأسره متفق على وصف انهيار البورصات بأنه «انهيار البورصات الناجم عن كورونا». خلال 48 ساعة فقط بعد انهيار وول ستريت، ضح الفيدرالي ما يصل إلى 2,2 ترليون دولار، في محاولة لعلاج الأزمة. وهذا المبلغ أكبر من مجموع عمليات الضخ المالي، أو ما يسمى التيسير الكمي الذي أقدم عليه الفيدرالي في أزمة 2007-2009. رغم ذلك، لا حياة لمن تنادي. بات الأمر كمحاولات صعق قلب متوقف بتوتر كهربائي عال... ولكن يبدو من النتائج كما لو أن صاحب الأمانة قد أخذ أمانته وانتهى الأمر.

## تراكب الموجتين

كورونا تحتاج مزيداً من الإنفاق، وأزمة النفط تحتاج مزيداً من الإنفاق «على الأقل من وجهة نظر الأدوات المحدودة التي تمتلكها المنظومة»... حرب أسعار النفط وانهيار البورصات، تدفع السوق والإنتاج نحو انكفاء كبير، وقد تجرأ الفيدرالي الأميركي على الإعلان رسمياً أن العالم دخل مرحلة الركود. كورونا أيضاً، تدفع السوق والإنتاج نحو توقف شبه كامل.



مخطط بياني للباحثة الاقتصادية دورثي نيوفيلد، يبين الانخفاض التاريخي لمعدل الفائدة عبر 700 عام

تعرّف ظاهرة التجاوب الحاد، أو الطنين «resonance»، بأنها ظاهرة فيزيائية تحدث عند انسجام تواتر فعل أو مؤثر خارجي «بما في ذلك حفل خارجي»، مع التواتر الطبيعي للجسم الواقع تحت التأثير...

## مهند دليقان

مثلاً الاستغناء عن الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء في دراسة أي ظاهرة بيولوجية، أو حتى اجتماعية. ولكن من الممتع حقاً، وربما من المفيد، استخدام قوانين وظواهر العلوم الأقل تعقيداً، كأداة في عرض فهمنا للعلوم الأكثر تعقيداً. أكثر من ذلك، فإن العلوم لا تتحول إلى علوم بالمعنى الناضج «قبل أن تُعبّر عن نفسها بلغة الرياضيات»، وفقاً لإنجلز.

## كورونا + أسعار النفط = ؟

استناداً إلى ما أوردناه، نزع أنه من الممكن تشبيه الوضع العالمي الراهن، تحت وقع تراكب كل من أزمة كورونا وأسعار النفط، بأنه وضع تجاوب حاد سيؤدي كمحصلة إلى انهيار النظام العالمي القائم. فلننظر إلى كل من الأزميتين على حدة، ولنر ما الذي يستطيع النظام العالمي القائم أن يفعل تجاههما، انطلاقاً من أدواته ومنظومته الرأسمالية:

كورونا تتطلب إيقاف حركة الإنتاج لعدة أشهر للسيطرة على انتشار المرض والسماح للمؤسسات الصحية ضمن قدراتها الموجودة أن تحتويه ريثما يظهر العلاج، الذي لن يصبح جاهزاً قبل عدة أشهر، وربما عام. كورونا تتطلب أيضاً إنفاقاً اجتماعياً أعلى يقع على عاتق الحكومات بالدرجة الأولى، «وعلى عاتق الشركات بقدر ما تتمكن الحكومات من إلزامها: في الصين ألزمت الحكومة الشركات ليس بإعطاء إجازات لعمالها فحسب، بل إجازات مدفوعة».

من جانب آخر، هناك أزمة أسعار النفط. وهي أضخم بما لا يقاس، بآثارها ونتائجها، من أزمة كورونا. «ونعتقد بأنّ قسماً مهماً من تضخيم حالة الذعر من كورونا، ومحاولة ربط الأزمة الاقتصادية القائمة بها وحدها، يستهدف - ضمن ما يستهدف - حرف الأنظار عن أزمة النفط، حتى أنّ الإعلام الغربي

يمكن أن نرى أمثلة عديدة على التجاوب الحاد في مستوى علم الميكانيك، «الحادثة الأشهر التي يُقال إنها تمثيل حي لهذه الظاهرة، هي انهيار جسر Tacoma Narrows Bridge عام 1940، رغم أنّ هناك آراء أخرى حول تفسير انهياره». المؤكد أنّ الظاهرة بمستواها الميكانيكي تجد لها عدداً كبيراً من التطبيقات العملية، بينها مثلاً تلك المتعلقة بالالات الموسيقية على اختلافها، وخاصة الوترية منها.

على مستوى الكهرباء، يمكن أيضاً أن نجد تطبيقات وأمثلة عن هذه الظاهرة، أشهرها تلك الناجمة عن التساوي في قيمة الممانعة السعوية والتحريضية، لمكثف ووشيعة، الأمر الذي ينجم عنه إفناء إحداهما لممانعة الأخرى ما يسمح بتصغير فرق الكمون وتضخيم شدة التيار الكهربائي إلى الحد الأقصى، والذي يمكنه في حال لم تكن ضمن الدارة ممانعات أخرى، أن يؤدي إلى التسبب في حرق الدارة عبر قصرها.

تفسير الظاهرة هو أنّ الانسجام بين تواتر المؤثر والمؤثر عليه، يؤدي إلى تراكب موجتيهما بحيث ينتج عن التراكب قيمة قصوى، يمكن لها أن تكون مفيدة ويمكن لها أن تكون مدمرة. (ويمكن لها أن تكون مفيدة ومدمرة في الوقت نفسه، إذا نظرنا لها بطريقة ديالكتيكية... ونظرة كهذه، هي ما نحتاجه للتعامل مع موضوع هذه المادة».

## بين التفكيك والتركيب

الانطلاق من العلوم الأقل تعقيداً لفهم العلوم الأكثر تعقيداً، ليس الطريق الصحيح بكل تأكيد، لا يمكن مثلاً تفسير الظواهر الاجتماعية انطلاقاً من علم الكيمياء أو الفيزياء. مع ذلك، فإنّ العلوم الأقل تعقيداً، تمثل أدوات لا غنى عنها لفهم العلوم الأكثر تعقيداً، لا يمكننا

# وانهيار يلوح في الأفق!



## بفعل فاعل!

يشبه الصحفي توم لونغو في مقال له بعنوان «بوتين يطلق العنان لجحيم استراتيجي في الولايات المتحدة»، اختيار لحظة إطلاق حرب النفط، تشبيهاً طريفاً، إذ يشبهه باختبار لاعب الجودو للحظة مناسبة خلال اندفاع خصمه في الهجوم، لكي يستفيد من ذلك الاندفاع بالذات، ليلقيه أرضاً. يوم السادس من آذار، في اجتماع لـ«أوبك+»، أي أوبك بالإضافة إلى روسيا، قالت روسيا «لا» لتخفيض إنتاجها من النفط، وفيما بدا أنه رد من السعودية، قررت الأخيرة الإعلان عن زيادة إنتاجها بدلاً من تخفيضه. الأمران معاً أديا إلى انهيار أسعار النفط إلى ما دون 20 دولاراً للبرميل، وهو سعر أقل بكثير من تكلفة إنتاج النفط الصخري في الولايات المتحدة. وهذا كله أدى إلى انهيار البورصات، وذلك قبل أن يعلن ترامب أو جونسون أو ميركل أو غيرهم من الزعماء، حالة الطوارئ... بل كان ترامب لا يزال في تلك الأونة ينصح بغسيل اليدين جيداً باعتباره الحل الكافي والناجح لكورونا. لنذهب أبعد من ذلك قليلاً نقول: إن هجوم الخصم جاء بالذات عبر نشر فيروس كورونا، وتلقف تلك الاندفاع وتحويلها إلى قوة هدامة للأمريكي، وللمنظومة الدولارية ككل، هو افتتاح حرب النفط يوم السادس من آذار. وبعد ذلك باتت عملية التفريغ الغربي من كورونا، بالتوازي مع عدم اتخاذ أي إجراء جذري لمواجهة، أداة لتأخير تظهير نتائج حرب النفط، وخاصة لتأخير ظهورها بردود الفعل الشعبية على الإفلاسات وإغلاق المؤسسات ورمي الناس في الشوارع... يبدو هذا الكلام منمتمياً لما يسمى «نظرية المؤامرة»؟ نعم بالفعل يبدو كذلك!

## مؤامرة؟

ليست بنا رغبة للتعلق بأذيال أحداث

المؤامرات، ولكن من الحماسة بمكان أن نضم أذاننا ونلحق عيوننا عما يجري حولنا كي لا «نسقط» في أحابيل التفكير التأمري. قبل عرض بعض الوقائع، لا بد من إضافة كلمة حول المؤامرة: «الرواية الرسمية» هي الوحيدة المسموح بها، وكل ما عداها تفكير تأمري، هل هي مصادفة؟ لا نظن ذلك. نشر عالم الجيوسياسة والجغرافية الإيطالي مانليو دينوتشي، يومي التاسع من آذار والخامس عشر منه مقالين في «إيل مانفيسستو»، ونشرت الترجمة الإنكليزية لهما في شبكة فولتير وموقع مركز أبحاث العولمة، «ترجمت قاسيون المادتين في موقعها الإلكتروني تحت عنوان «غزة ملقحون؟ ثلاثون ألف جندي أمريكي إلى أوروبا بلا كامات!»، يكشف دينوتشي أن الولايات المتحدة قد استقدمت عشرين ألف جندي أمريكي إلى أوروبا خلال الشهر الحالي، لينضموا إلى عشرة آلاف موجودين مسبقاً، وإلى 7 آلاف من بقية أعضاء تحالف الناتو، لكي يشتركوا جميعاً في مناورات «أوروبا المدافعة 20». ونقتبس من مقال الكاتب ما يلي: «في بافاريا، التي لوحظ فيها أول تفشٍ أوروبي لفيروس كورونا، نشاهد الجنود الأمريكيين الذين نزلوا للتو من الطائرة، يصفحون مستقبلهم من السلطات الألمانية ويتبادلون القبلات مع رفاقهم دون أية أقنعة أو كامات. ويتبادر هنا سؤال عفوي: هل يمكن أن يكون قد تمّ تطعيمهم بالفعل بلقاح ضد فيروس كورونا؟»

تثير التساؤل أيضاً، فضيحة آلية الكشف المعطوبة التي جرى استخدامها لأكثر من أسبوع في الولايات المتحدة، والتي انتقدتها الصين منذ البداية. بعد حوالي الأسبوع أعلنت السلطات الأمريكية أن الفحص الذي استخدم أثبت فشله، وأن عدداً من الذين اعتبروا سليمين ممن خضعوا للفحص، ثبت

## لا حياة لمن تتادي. بات الأمر كمحاولات صعب قلب متوقف بتوتر كهربائي عالٍ... كما لو أنّ صاحب الأمانة قد أخذ الأمر وانتهى الأمر

أنهم كانوا مصابين، وخلال متابعتهم حياتهم الطبيعية بعد الفحص نشروا الفيروس الذي انفلت من العقال وبات يسرح في كل ولايات أميركا. كذلك تثير التساؤلات الإجراءات التي لم تتخذ في المطارات والمعابر الحدودية إلا بعد فوات الأوان، وهذا يشمل بريطانيا وفرنسا وغيرهما. في الولايات المتحدة مثلاً، كانت معايير من يجب اختبارهم تقول بأن القادمين من الصين فقط هم من ينبغي فحصهم. استمر تبني هذا المعيار حتى بعد أن انفجرت الأمور في إيران وإيطاليا، ولم يتم التخلي عنه إلا منذ أيام قليلة. ثم ألا يثير التساؤل، التناقض العجيب في الخطبة الشهيرة لجونسون التي «بشّر» فيها البريطانيين بأن عائلات كثيرة ستفقد أحبائهم؟ في الخطبة نفسها قال جونسون: إنه لن يأخذ قراراً بإغلاق المدارس حالياً. ورغم أن كل إنسان في رأسه عقل، بات يتطلع إلى النموذج الصيني والتعليمات الصينية حول المرض واليات انتشاره واليات التصدي له، بوصفه النموذج الأنجح، بل والواجب الاتباع، رغم ذلك، فإن القسم الأكبر من وزراء الصحة الغربيين لا يزالون حتى اللحظة يقللون من شأن استخدام الكامات كإحدى الوسائل التي لا غنى عنها في التسليح ضد نشر الوباء.

إذا حاول الإنسان حصر جملة التناقضات في السلوك الغربي اتجاه كورونا، فربما يمكنه أن ينتج مجلدات ضخمة. بعد هذا كله، وغيره، علينا أن نصدق الرواية الرسمية، والرواية الرسمية هنا تعني بالضبط ما يقوله الغرب، وعلينا فوق ذلك أن نسخر من أي طرح آخر وننعتة بالمؤامرة!

## تجاوب حاد ثلاثي الأبعاد

يشير السلوك الرسمي الغربي المتراخي تجاه كورونا، إلى غياب القدرة وربما الرغبة في التصدي للوباء بشكل فعلي. علينا ألا ننسى أن الحكومات الغربية في ظل النيوليبرالية التي جرّدت جهاز الدولة من دوره الاجتماعي، لم تعد قادرة منذ عقود على لعب دور المتحكم والمقرر الأساسي، وبات الأمر بأكمله بيد الشركات الكبرى. أكثر من ذلك باتت الحكومات الغربية بمجملها مجرد ناطق غير رسمي باسم مصالح هذه الشركات. ولكن لماذا لا تتعامل تلك الشركات بجدية مع كورونا؟ إنهاء أزمة كورونا في هذه اللحظة لن يسمح بتنشيط عجلة الإنتاج الغربية، لأن تلك العجلة باتت معطوبة لا بسبب كورونا فقط ولا بسبب أسعار النفط فقط، بل لسبب أعظم من هذين العرضين: انخفاض معدل الربح مع تعقد التركيب العضوي لرأس المال، والذي وصل إلى حده النهائي: الصفر. بهذا المعنى تغدو موجة كورونا وأسعار النفط، موجة واحدة بقيمة أعظمية، تتراكم مع التردد الطبيعي للظاهرة الرأسمالية التي وصلت هي الأخرى، وفي توقيت متزامن، قمة أزمته بوصول معدل الربح إلى صفر. التجاوب الحاد الذي يعيظه النظام العالمي القائم، يعني تخفيض مقاومته إلى الحدود الدنيا أمام تيار الغضب البشري المتراكم، والذي لن يطول به الأمر حتى يمر بطاقة أعظمية في دارة ذلك النظام...

# روسيا في مواجهة التخریب المالي العالمي

■ يفجيني إيفانوف - nakanune.ru  
ترجمة ندى المبدالله

## محاولات نذب روسيا

### واعادتها للقرن التاسع عشر

ظهر فشل النموذج الاقتصادي الروسي مجدداً بعد أيام قليلة على خروج روسيا من اتفاقية «أوبك+» وانخفاض أسعار النفط الذي أدى إلى انخفاض سعر صرف الروبل. وهذا ما يؤثر سلباً على القطاعات الاقتصادية كافة، وهنا دخلنا في أزمة شاملة «البجعة السوداء» والتي جلبها فيروس كورونا. وهنا يبرز السؤال: ماذا يفعل البنك المركزي الروسي في هذه الأثناء؟ إن ما تم وصفه بمدير البنك المركزي الأفضل في العالم اختفى في مكان ما، ولكن بنك روسيا في هذه الأثناء يهدر في اليوم الواحد عدة مليارات من الروبلات لدعم سعر الصرف. وكما هو واضح للعيان إن هذا الإجراء لم يساعد كثيراً، وأصبح واضحاً للكثيرين أن السياسة الاقتصادية المتبعة عاجزة أمام تهديد أصغر الأزمات، ولكن مع ذلك تبقى هذه العقيدة المتبعة من قبل قادة الدولة راسخة ولا يمسه أحد.

الأكاديمي والاقتصادي المعروف سيرغي غلازيف، تحدث منذ عدة أيام في جلسة خاصة لمنندى موسكو الاقتصادي، مؤكداً أن في روسيا تتوفر كل الإمكانيات لكي يتحسن اقتصادها بوجه عام وليس فقط تجاوز الأزمة الحالية، وذكر غلازيف أن العالم الآن في مرحلة تغيير الهياكل التكنولوجية والاقتصادية العالمية، وإن هذه المرحلة تتصف بميلها المحبط حيث أن المسارات التكنولوجية ومؤسسات الإدارة السابقة فقدت قدرتها على العمل.

ونتيجة لذلك تولد منظومة جديدة لإدارة التطور الاقتصادي، وكمثال ساطع لهذه المنظومة الجديدة يمكن ذكر الصين. هناك بالتحديد في جنوب شرق آسيا، ظهر نموذج إدارة جديد للتطور الاقتصادي، وهذا سيؤدي لقيام مركز لتطور الاقتصاد العالمي. أما في روسيا بحسب غلازيف، فالوضع مختلف تماماً: «نحن نعيش اليوم في عصر ما بعد مرحلة الصناعة السابقة، التي تميزت بالصناعات الضخمة والشركات العملاقة.

وهذه الصناعات والشركات لم يكن من الممكن أن تولد لو كان المال كما هي الحال في بلدنا اليوم. لقد رمى بنا البنك المركزي إلى القرن التاسع عشر عندما كانت الدولة غير قادرة بعد على إنتاج النقود».

بكل عام آخر، في البنك المركزي والدوائر المالية الأخرى في روسيا، يجلس أناس لا يدركون أن النقود يجب أن توظف من أجل النمو الاقتصادي وليس فقط لتخزينها في مكان ما في المخبأ.

غلازيف يطرح مثلاً من التاريخ، فيقول: لم يكن من الممكن لأي صناعة أن تتشكل في الاتحاد السوفييتي، لو أن صناع القرار اليوم قادوا البنك الحكومي في زمن الاتحاد السوفييتي، لأن هؤلاء يبنون سياستهم النقدية فقط في اتجاه سحب الأموال من الاقتصاد بحجة مكافحة التضخم، وبعد ذلك ينقلون الأموال إلى الخارج جاعلين بذلك عملياً روسيا مانحاً للنظام المالي العالمي.

«نحن نرى أمثلة عن معجزات اقتصادية خلال الخمسين سنة الماضية. كل معجزة اقتصادية جديدة تترافق مع نمو استثماري أعلى. وكل دولة تلحق بمسار التطور، منتقلة إلى تنمية أسرع، تحقق طفرة استثمارية. لدينا «في روسيا» ما يكفي من الموارد، ولكن



ما نستطيع أن نعمله نحن أنفسنا من دونهم، ولكننا لا نملك الرغبة بذلك. وبالطبع «هجرة الأدمغة» للخارج، هي عملية راسخة منذ زمن طويل عن طريق الشركات الأجنبية العملاقة. كذلك يذكر غلازيف أن المشكلة الأساسية للركود تكمن في أن بنك روسيا يعمل لخدمة مصالح المضاربين الماليين. ومع ذلك لا يجدر بنا أن ننسى أن هبوط سعر النفط كان مفيداً أيضاً لبعض دوائر السلطة: «هذا مفيد للأشخاص المسؤولين في الحكومة عن تشكيل جزء الإيرادات من ميزانية الدولة، لأنه في خيالهم كلما كان سعر الصرف أقل كلما ازدادت العائدات النفطية، ومقابل نفس الكمية من النفط سيكسبون أموالاً أكثر من الأموال التي اكتسبوها بسعر صرف أعلى. وبما أن نصف إيرادات الميزانية تتشكل من العائدات النفطية، فلدَى هؤلاء المسؤولين في الدولة منطق يتجلى بأنه لا شيء يدعو للقلق، سعر النفط ينخفض، لنضع سعر الروبل ينخفض أيضاً بنفس المقدار. وبالجهد المقابل إذا لم تقوموا بفرض قيود على العملة، فلا توجد طريقة لمنع المضاربين من اللعب ضد الروبل. لدينا ثلثا سوق الاستثمار المالي من الأجانب، هؤلاء بأمر من واشنطن، يمكنهم بسهولة أن يتلاعبوا بسعر الصرف إذا لم يضمن البنك المركزي استقرار سعر الصرف».

تقنيات النانو وتكنولوجيا هندسة المعلومات والاتصالات الرقمية المضافة. الحاق الديناميكي في المجالات القريبة من المستوى التكنولوجي المتقدم وهذه تتطلب حصراً أدوات واليات حكومية. تعميق العمل على معالجة المواد الخام، وتحديد في مجال النفط والغاز. وهذا التوجه الوحيد الذي تقوم به الحكومة اليوم وهو ما يسمى الحاق بركب التنمية. زيادة النشاط المبتكر، حيث توجد العديد من الإمكانيات، وهذا ما تثبته هجرة العقول الضخمة.

لكل نقطة من النقاط السابقة المذكورة توجد أمثلة محددة: صناعات النفط والغاز لا يمكن أن تتم دون نظام القروض. صناعة الطائرات، التي تعاني من ركود لسنوات عديدة، بسبب أن الحكومة افتقرت إلى العقل لتشكيل آلية تاجير للطائرات الروسية. بدلاً من ذلك، لكي ندعم الإنتاج السلمي، نعطي إعفاءً من ضريبة القيمة المضافة ورسوم الاستيراد، ولا نأخذ حتى ضرائب على الممتلكات من الطائرات الأجنبية. وبالنتيجة فإن ضريبة الشركات الوطنية المصنعة للطائرات أعلى بثلاث مرات لنظيراتها المستوردة. كذلك الأمر بالنسبة لاستيراد التكنولوجيا والتركيب الصناعي، حيث المستثمرون الأجانب يقومون بعمل

لدينا تصدير ضخم لرؤوس الأموال وهي عملية مستمرة حتى الآن. فمن جهة، تسمح سلطاتنا المالية بتصدير الأموال لكل الراغبين على الرغم من أن نسبة الربح في الأسواق العالمية أقل منها في سوقنا المحلي، ومن جهة أخرى، يحافظ البنك المركزي بشكل مصطنع على سعر فائدة مرتفع، ففي السوق المالية اليوم نسب الربح أعلى بثلاث مرات مما يجب أن تكون عليه وفقاً للمؤشرات الموضوعية للنظام المالي والاقتصادي الروسي، ويتم ذلك لصالح المضاربين الماليين».

حدد الباحث والاقتصادي سيرغي غلازيف بعض المستفيدين من هذه السياسة النقدية: الصناديق الاحتياطية الأمريكية التي تعمل الجهات الرقابية المالية لصالحها.

البنوك الحكومية الكبيرة، التي تعمل عملياً لزيادة أرباح إداراتها.

تجار المواد الخام الذين يسحبون الأموال إلى الخارج أيضاً.

بالمحصلة، الاقتصاد الروسي يعمل بنصف طاقته. الإنتاج الصناعي يمكن أن يتضاعف مرتين إلى ثلاث مرات، في حال تعلمنا فقط كيف نستخدم النقود، أي استثمارها في الإقراض وجذب الاستثمارات. وقد ذكر غلازيف أنه منذ زمن طويل تتم مناقشة استراتيجية التنمية الاقتصادية طويلة المدى، ولكن يبدو أن العقائد الثابتة لا يمكن تحطيمها!

استراتيجية التنمية الاقتصادية طويلة المدى، التي تحدث عنها واقتراحها المختصون مراراً في أكاديمية العلوم، تتضمن خمس نقاط أساسية:

النمو العالي للنظام التكنولوجي الجديد، الذي يحقق اليوم ثورة تكنولوجية، حيث إنه ينمو بمعدل وسطي 35% سنوياً في الاتجاهات المختلفة. هذا النظام التكنولوجي هو

في ختام حديثه، حدد سيرغي غلازيف السبب الرئيسي الذي يكمن وراء عدم تغير أي شيء في الوضع الاقتصادي الحالي. الباحث الأكاديمي يؤكد أنه لتحسين الوضع الاقتصادي في روسيا توجد كل الموارد الضرورية حتى في شروط سعر منخفض للنفط وفي ظروف روبل ضعيف. ولكن نفتقر لمورد واحد هام جداً ولم يتحدث عنه أحد على كل المستويات إنه الإرادة السياسية: «ما العمل؟ من الناحية النظرية مفهوم ما علينا فعله ومفهوم من يعيقنا لفعل ذلك، فهناك مصالح اقتصادية للبعض تعرقل أي تغيير في السياسة الاقتصادية، والتغلب على هذه المعوقات ليس عملية سهلة».

# حلب.. معاناة «الكورونا» واختبار قدرة المجتمع



أثر الوضع المعيشي المتردي - للغالبية الساحقة من المواطنين - على الوضع الصحي الراهن، وجعل من الخطوات المطلوبة للتخلص من «كورونا» مصدراً جديداً للسخرية.

## ■ مراسم قاسيون

هؤلاء الذين عانوا ولا زالوا يعانون الأمرين من عدم القدرة على توفير وضع معيشي لائق أولاً، قبل توفير مستوى صحي للاستمرار في حياتهم المليئة بالتعب والأمراض، والناجمة عن حجم الأعمال التي كانت تزيد يوماً بعد يوم. من الذي جعل كورونا فيروساً قاتلاً لا يمكن النجاة منه؟ لمن هم في مهبط كل تلك الأمراض، في بلد لم تكن قادرة على أن تعينهم في ظرف كهذا، أقلها في الفترة التي طلبت إليهم فيها أن يلتزموا بالحجر الصحي دون النظر لمدى قدرتهم الحقيقية على فعل ذلك.

## عمال في مهبط هلاك صحي يسبق الكورونا...

أنتى للعمال الميامين أن يلتزموا بالحجر الصحي الذي قد يقتلهم جوعاً، قبل أن يقتلهم مرضاً هم وعوائلهم، إن لم يخرجوا يومياً لالتقاط أرزاقهم التي كانت تتفاوت سابقاً، فما حالها في ظل هكذا أزمة أمت بهم دون حساب أو سابق إنذار.

نزار، شاب في أواخر العقد الثالث من عمره، يتحدث إلى قاسيون: «أنا عسكري احتياط، متزوج ولدي أولاد، راتبتي حوالي 70000 ليرة، إن أردت زيارة عائلتي كل شهر، أضع 30000 أجار طرقات ذهاباً وإياباً، ماذا عساي أن أنتظر من 40000 ليرة أن تكفي، هل أضعها ثمن كمادات ومعقمات ونفتح بعدها فمنا للهواء؟! أم أتخلي عن حقي بالإجازة الشهرية لأرسل لهم كامل راتبتي عسى أن يعيشوا به بطريقة أفضل، وعلي أن أدفع ثمن هذا بهلاكي من عدم الراحة و«أكل البطاطا»، وإن كنت أستغل الإجازة غالباً في

العمل الحر، الذي كان يساعدني في تعويض أجار الطرقات والقدرة على تلبية بعض أهم الحاجات الضرورية لعائلتي، فإن الحجر الصحي قد أغلق هذا الباب بوجهي، فمن سوف يشعر بالمسؤولية تجاه عائلتي في كل هذه الظروف سواي؟!»

أما «أحمد» عامل البناء الذي بلغ من العمر ما يقارب الأربعين عاماً، لم ينقطع عمله في ظل قرارات الحجر الصحي، ولم يكن هو قادر على قطعه من تلقاء نفسه، وإن كان تعرضه للعوامل التي تزيد من خطر إصابته قد يلقى عائلته، فإنه لا يقف عائلاً في طريق استمراره لأنه ما من بديل، فيطلق عنان السخرية عن هكذا وضع لا مسؤول حقيقي تجاهه، قائلاً: «نحن هون بسورية مو بالصين حتى تفكروا أتو حدا ممكن يسال عليكم بفترة الحجر الصحي ويقدملكن متطلباتكن، هون أعظم شي ممكن يتقدملكن هو صف الحكي...!»



«نحن هون بسورية مو بالصين حتى تفكروا أتو حدا ممكن يسال ويقدملكن متطلباتكن هون أعظم شي ممكن يتقدملكن هو صف الحكي..!»

## ازدحامات.. تنسف إجراءات الحكومة!

لم يكن موظفو الحكومة أفضل حالاً عن الآخرين، التي حاولت مؤسساتهم ودوائهم أن تجعل بنظام المناوبة منأى صحياً فهو أشبه بالحجر، هم المتعرضون لاستخدام وسائل نقل عقيمة لمرة واحدة فقط في بداية صدور تعليمات الحجر، وهي غير كافية طبعاً لوسائل نقل أصغرها يقل 15 شخص في كل «توصيلة»، ولم نأت بعد على ذكر من كانوا مجبرين على استخدام الباصات الكبيرة، والتي رأى الناس في قرار الحكومة مؤخراً، بعدم السماح لأكثر من خمس أشخاص بالوقوف في حال امتلاء الباص، بصيص وعي حكومي، القرار الذي لم ير النور حتى عادت الباصات لتغص بالركاب، الذين لا يملكون من أمر تغيير وسائل النقل أو

استبدالها بالسير حتى لقضاء أهم حوائجهم فقط سبيلاً.

«سيرين» شابة عاملة باتت مضطرة لاستخدام باص «المشهد» وسيلة نقل لا بديل عنها، تسأل: هل الكمادات والكفوف والتعقيم المستمر قادر أن يرد فيروس من شخص لا يفضلني عنه أي فاصل في ظل ازدحام الباص، وإن استطاعت، فكم مرة قادرة على أن تستمر في رد ذلك الأذى المحقق بنا؟ وأنا كعاملة في قطاع خاص كم تظنون في مقدرتي أن أخصص من راتبتي من أجل كمادات وكفوف ومعقمات ضرورية للتبديل والتجديد؟ أظن أن الجواب سيكون أفضل إن أخبركم بأن راتبتي يجعلني أظن أنه وكأنني أعمل من أجل توفير هذه المستلزمات التي باتت ضرورة في ظل هكذا وضع».

ويتساءل مواطنون: صالات الزدحامات التي ممكن للتجارة أليست ضمن الزدحامات التي ممكن أن تكون بؤرة حكومية لانتشار المرض، ومن المفترض أن تكون إجراءات الحكومة أكثر حذراً والتزاماً تجاه المواطن مما هي عليه، أقلها في مؤسسات كهذه تابعة لها!.

«الصالات الغذائية» والتي ازداد ازدحامها مؤخراً، وخاصة من قبل ذوي الدخل المحدود، هل عجز المسؤولون عن إيجاد حلول حقيقية لها؟ حتى نراهم يطالبون المواطنين بالذهاب في حال وجود ازدحام والعودة بعد ساعات أخرى أو في اليوم التالي!! فمن ذا الذي سوف يذهب أو يبقى في هذه الحالة باعتقاده، وهم بنفس مقدار الحاجة لهذه المواد الاستهلاكية؟ ألم يكن أجدر بهم أن يجدوا حلولاً بديلة حقيقية، كان يتم توزيع المواد التي يفترض بها أن تباع بأسعار أقل في المؤسسات، على البقاليات والمحلات التجارية مثلاً مع فرض أسعار المؤسسة عليها!؟

## حجر معيشي يسبق الحجر الصحي

بعد القرار الرسمي بشأن مادة الخبز وتوزيعها في مدينة حلب، فإن أول ما يتبادر

لذهن المواطن هو تحديد مخصصات هذه المادة التي ظن المواطن أنها ومهما ارتفع سعرها بقيت الأخص في ظل ارتفاع وتقنين بعض المواد، التي بات المواطن يقلص من استهلاكها، حتى تقلصت صحته معها، بعد أن كانت الأكثر توفراً والأقل سعراً، وبات معظمها عكس ذلك بعد أن حصرها القرار بالموزعين، واستمرار الازدحام مع قلة توفرها، التي تدفع بالمواطن لشراؤها من السوق السوداء بسعر مضاعف مرات، وهو نفسه السبب الذي جعل المواطن ينتج لتقليص استهلاكه لها أيضاً، دون التمكن من الاستغناء عن شراؤها من السوق بتلك الأسعار، وهو السبب ذاته الذي جعل المواطن يشعر وكأنه قد حجر عليه معيشياً وعنوفاً، قبل أن يحجر عليه صحياً، والحجر الأخير زاد من سوء الأول سوءاً..

## ليست قلة وعي ولا استهتار بل اختبار

أول جملة قد يواجه بها السوري: اتهامه بـ«قلة الوعي» لعدم التزامه بالتعليمات الصحية للوقاية: «مو قلة وعي ولا استهتار بس عشنا! وشغنا! ودقنا الأمرين بعشر سنين حرب من ورا الفاسدين وكبار الناهبين وتجار الحرب والأزمة، وطلع ع لسانا شعر لحتى تمسحنا وبطل يفرق معنا شي من كتر الطناش واللامبالاة الرسمية.. بس قصة مواجهة الفيروس بالوعي لحالو مو كافية.. ولا بتكفي الإجراءات والتوجيهات طالما بقي الحال ع حالو من النهب والفساد».

ربما نحن أمام اختبار حقيقي، إما أن تقوم البنية القائمة بدورها الكامل بعيداً عن أوجه النهب والفساد، أو إثبات ما هو مثبت ومجرب سابقاً بأن هذه البنية أصبحت مستهلكة ومنتهية الصلاحية ولا رجاء منها، وسيضطر المجتمع للتصدي بنفسه لها لفرض بدائلها، كي يأخذ حقه في البقاء والوجود والاستمرار!

## الجوع أخطر من المرض..

## المفقرون والمهمشون بلا مظلة حماية..



توقفت الكثير من الأعمال، وأغلقت الكثير من المنشآت، مطاعم وكافيتريات ومقاهٍ و... بالإضافة للمشاعل والورش الصغيرة، وتوقف الكثير من الحرفيين والمهنيين عن أعمالهم أيضاً، تقيداً بالتعليمات الرسمية الصادرة كإجراءات احترازية ووقائية، وتقيداً بتعليمات السلامة الصحية والالتزام بالبيوت طوعاً للحد من خطر جائحة «الكورونا». وكل ذلك لا شك هام وضروري، بل ولا غنى عنه وقائياً واحترافاً.

لكن ماذا عن العاملين بهذه القطاعات والمنشآت والورش والحرف، الذين فقدوا مصدر دخلهم بالنتيجة، ومن أين لهؤلاء أن يؤمنوا احتياجاتهم وضرورتهم، الغذائية والصحية بالحد الأدنى، بعد أن خسروا فرص عملهم وفقدوا معها مصدر دخلهم الوحيد؟.

## شريحة كبيرة بلا حماية

العاملون في هذه القطاعات والمنشآت والورش والحرف والمهن، وعلى الرغم من كونهم الأكثر عدداً بالمقارنة مع العاملين في الدولة والقطاع الخاص المنظم، إلا أنهم الأكثر ضعفاً والأكثر هشاشة وتهميشاً، فهؤلاء بغالبيتهم مياومون، يتقاضون أجورهم الهزيلة نهاية كل أسبوع، وهي بالكاد خلال السنين الماضية كانت تغطي الحد الأدنى من كفاف الضرورات الغذائية لأفراد أسرهم فقط، فكيف الآن وقد أصبحوا بلا دخل، وأضيفت المنظفات والمعقمات والاحتياجات الصحية على الضرورات الحياتية؟! وكيف لهم أن يستمروا بالحياة في ظل التخلي عنهم، وخاصة مع تزايد أوجه الاستغلال في الأسواق على السلع الأساسية، التي ارتفعت أسعارها تحكماً وجشعاً؟.

هذه الشريحة الكبيرة عدداً مع أفراد أسرها، وفي ظل عدم وجود أية مظلة حماية لهم، رسمية أو غير رسمية، أصبحوا معرضين للمزيد من الفقر والعوز والجوع والمرض، بل أصبحت حياتهم مهددة جوعاً أكثر من كونها مهددة مرضاً بأضعاف!.

## ارتفاع معدلات الجوع والفقر والمرض

واقع الحال يقول إن معدلات الفقر والجوع كانت مرتفعة سلفاً، كما أنها تشمل غالبية السوريين من الشرائح الهشة والمهمشة، ذوي الدخل المحدود وجميع العاملين بأجر والمياومين والعاطلين عن العمل، مع أفراد أسرهم، وهؤلاء كانوا ضحايا وقربان السياسات الليبرالية المطبقة منذ عقود، والتي تزايدت مفاعيلها السلبية خلال سني الحرب والأزمة، على أيدي شريحة المستفيدين من هذه السياسات، كبار الفاسدين والناهبين وتجار الحرب والأزمة والمستغلين.

ومع فقدان جزء هام من هذه الشريحة لفرص عملها، وخسارتهم لمصدر دخلهم الهزيل أصلاً، بسبب الوفاء الجائحة وتقيداً بتعليمات الوقاية، فإن النتيجة الحتمية من ذلك هي ارتفاع جديد لمعدلات الفقر والجوع، وبنسب

تزايد معدلات الفقر والجوع والمرض، في ظل استمرار نمط التخلي الرسمي المعزز بالسياسات المعتمدة، وفي ظل ارتفاع معدلات الاستغلال والفساد التي أصبحت لها ذريعة جديدة الآن تضاف لذريعة الحرب والحصار والعقوبات، والتي لا تصب إلا في مصلحة شريحة كبار الأثرياء والفاسدين، وفي جيوبهم، لكن هذه المرة ستكون ليست من جيوب وعلى حساب الفقيرين والمهمشين، بل وعلى حساب بقائهم على قيد الحياة.

## ذروة جديدة من الاحتقان

الجائحة الحالية، مع تداعياتها ونتائجها السلبية المتوقعة، ربما تشكل ذروة جديدة من ذرى الاحتقان المجتمعي، الذي تزايد وتعمق بسبب سد أفق الحلول سلفاً، قصداً وعمداً، فكيف مع إضافة تداعيات ونتائج سلبية جديدة؟!

وبهذا الصدد لن نطيل الحديث عن التعليمات والإجراءات المتخذة حكومياً، بل سنعيد التأكيد على أنه في ظل استمرار السياسات الليبرالية المعمول بها والمتبعة لا رجاء من أي إجراء رسمي، صغير أو كبير، ما لم يتم القطع مع هذه السياسات جملة وتفصيلاً، ولعل الجائحة تعتبر فرصة للبدء في التغييرات المطلوبة والضرورية على هذا المستوى مبدئياً، وصولاً لاستكمال التغيير الجذري والعميق والشامل على المستوى الوطني كاستحقاق مصري لمصلحة البلاد والعباد.

الكارثة أكبر وأوسع وأعمق. فالحكومة أصدرت توجيهاتها وتعليماتها، التي ربما تصل لحدود الإغلاق التام مع حظر التجوال لاحقاً، تاركة الفقيرين والمهمشين لمصيرهم، ليس على مستوى مواجهة الجائحة فقط، بل والأهم على مستوى مواجهة الجوع المتزايد!.

وأي مصير سيئ يمكن توقعه لهذه الشريحة أمام هاتين الجبهتين المعززتين بكل تاريخ التخلي والنهب والفساد والاستغلال؟!

## التداعيات هي الأخطر

السياسات الليبرالية المتبعة منذ عقود أفرزت الكثير من السلبيات «فقر- بطالة- جوع..»، كما كرست الكثير من الظواهر السلبية في المجتمع «تهريب- مخدرات- دعارة- سلب- تسول..»، وقد عززت سنوات الحرب والأزمة هذه السلبيات وساهمت بتوسيع انتشار المظاهر السلبية، كما أفرزت المزيد منها «التعيش- الخطف من أجل الفدية- تجارة الأعضاء...»، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كل هذه السلبيات والظواهر تديرها شبكات مستفيدة ومرتبطة بشبكة النهب والفساد الكبير في البلد، المرتبطة بمثيلاتها على المستوى الإقليمي والدولي أيضاً.

وربما لا أحد ينصّر ما الذي ستفرزه نتائج وتداعيات جائحة كورونا الحالية من أخطار، ليس على مستوى الصحة والسلامة الصحية، بل على مستوى ما ستفرزه من سلبيات وما تعززه من ظواهر سلبية، خاصة مع

مرتفعة أضعافاً عما سبق، وبالتالي زيادة تعرض هذه الشريحة للأمراض، وتوسع انتشارها بينها، ليس بسبب عدم تمكنها من تلقي العلاج وصولاً للشفاء لارتفاع تكاليفه عليها فقط، بل بسبب زيادة ضعف مناعتها الذاتية المرتبطة بسوء تغذيتها المزمنة سلفاً، والتي ستترجع من كل بد مع تخفيض سلة استهلاكها الغذائي أكثر مما سبق بسبب فقدانها لمصدر دخلها.

## على خطوط المواجهة بلا أسلحة

هذه الشريحة الواسعة، المغيبة والمنسية أصلاً من حيز الاهتمام الحكومي طيلة عقود، أغفلتها التعليمات الأخيرة الصادرة رسمياً، على أهميتها وضرورتها، بخصوص الحجر والوقاية، على مستوى تأمين متطلبات معيشتها ومتطلبات مواجهة الجائحة، غذائياً وصحياً، رغم المعرفة المسبقة بأن هذه الشريحة الكبيرة لا تظلمها أية مظلة حماية لا صحية ولا اجتماعية، وبأنها ستكون كما كل مرة في خطوط الدفاع والهجوم الأولى، وستكون هي من تدفع ضريبة المواجهة على جبهة «الكورونا» الحالية، كما كل ما سبقها من جبهات، لتخوض المعركة دون أسلحة وبلا خطوط إمداد.

طبعاً هذا لا ينفي أن أصحاب الأعمال والحرف والورش الصغيرة التي توقفت لن يتأثروا سلباً على المستوى المعيشي والصحي أيضاً، فهؤلاء الصغار سيتم ابتلاعهم عملياً، وربما سينضمون لهذه الشريحة الكبيرة، لتصبح

واقع الحال يقول  
إن معدلات الفقر  
والجوع كانت  
مرتفعة سلفاً  
كما أنها تشمل  
غالبية السوريين  
من الشرائح الهشة  
والمهمشة

# حياتنا مولعبة بإيدكون!

«كورونا» كونه اسمو «وباء» فهاد يعني لازم الفرد ياخذ احتياطاته والإجراءات الوقائية اللازمة... طبعاً هل الشي ابتداء من الصعيد الشخصي يلي هو الفرد «كواحد»... وانتهاءً بالحكومة يلي هي مسؤولة عن حماية رعاياها «الكل - يعني نحن» وتلبية احتياجاتنا ومستلزماتنا جميع الأصعدة، وخصوصي بهل الوقت هاد «زمن الكورونا»... نحن بحاجة لتأميننا كل الطرق الوقائية والصحية لنقدر نتفادى هل الوباء الخطير... طبعاً هاد المفروض...

## ■ دعاء دادو

لهلق ما في صابون بالحمامات!! ولك ما في حتى كمادات لحتى يحطون هل الطلاب ع وشون مثل ما شفتنا بالفديو المتداول لاحقاً ع صفحات الـ«فيسبوك» يلي صوروه مجموعة إعلاميين مشكورين ليورجوا المواطن السوري كيف حتكون نهايتو بالحجر يلي مو صحي في حال ما دار بالو ع حالو وأخذ الإجراءات الوقائية اللازمة!!

بس للأمانة هاد الفديو خلانا نرتعب نحن كمواطنين أكثر من رعبتنا بفكرة الإصابة بالفيروس أو انتشاره، وخلانا ناخذ احتياطاتنا كونوا لهلق ما في حملات إعلانية بتبين عنجد إنو الوضع خطير وهل المرض مولعبة أبداً....

العالم محشورة فوق بعضا بالحجر يلي ما نو حجر... والفايت فايت والطالع طالع... تلت رباعون بلا كمادات وعم يتفتل ويروحوا ويمرحوا ع كيفون... ما شفتنا غير واحد أو تتين يلي حاطين كفوف بإيديهون... وفوق كل هاد ما في ممرضين مشرفين ع الوضع... وأحلى شي واحد من المحجور عليهم يقول: أنو لهلا ما عملولهم اختبار الكورونا! أي هاد حجر صحي ولا مجزرة جماعية?? شو هاد?? شو موقع وزارة الصحة من الإعراب?? هلق كوننا كلنا شطورين باللغة العربية... فكلنا متفقين إنو وزارة الصحة ضمير مستتر وغائب وجودياً... «سيادة وزير الصحة والعامين بوزارة الصحة... حياتنا مولعبة أبداً بإيديكون»... هي الرسالة يلي توجهت من قبل المقيمين بالتابوت الجماعي... فهل من يسمع?? يمكن كان في نص أذن عم تسمع، بعد هل الفضيحة الشنيعة يلي صارت، ومستثمر فندق مطار دمشق تبرع فيه وفتحو مكان للحجر الصحي، وفعلاً تم نقل الأشخاص عليه كمكان أفضل وبيخلي الواحد يحس إنو

من فترة شهر تقريباً، كان في طلاب سوريين راجعين ع البلد من الدول يلي فيها إصابات بالفيروس مثل «الصين»... وطبعاً تم الحجر عليهم كرمال يتأكدوا من سلامتون وعدم نقل الإصابة لأي مواطن سوري داخل البلد إذا كانوا حاملي الفيروس لا سمح الله... وتم الإعلان عن عدم وجود إصابات بيناتهم وتركوهم وفكوا الحجر عنهم... هاد الحكي ممتاز وعليه علامة تامة...

بس بعد هيك تم الحجر ع دفعة جديدة بمركز الدوير... وتم تداول صور عن هاد المكان الرهيب يلي عم يتم الحجر بداخله بمنطقة دوير... وهون كانت المفاجأة أو بالأحرى «الصاعقة والطامة الكبرى!!»... كسحنا الصين يا عالم...

ما رح نحكي شي غير إنو هل المكان ببشبه كلشي إلا مكان حجر صحي... وببساطة لأنو ما فيو شي صحي ولا حتى 1% لا بالمكان ولا بالمعدات والتحصينات الصحية... أي شو ناظرين إذا ما كان في صابون بالحمامات وهو اسمو حجر صحي?? إذا أسخف الأمور «ناقصة»...

وقت يلي انتشرت الصور قلنا ممكن إنو ما يكون عنا تجهيزات أو تحصينات صحية وطبية مناسبة «بغض النظر عن وجود وزارة الصحة يلي مو وافية بالعرض أساساً» بس إنو ما ع راس بلدنا غيمة وهو فيروس وبينتشر بالنهاية!! ورغم هيك قلنا ممكن!!

أما بعد انتشار الصور... وبسرعة البرق بتتحسن الأحوال بالدوير وبيصير في نضافة ولطافة «على أساس صار أحسن يعني»... معناها عنجد وزارة الصحة كانت مو وافية بغرضاً!!

حرام نضفو المكان منيح بعدين، بس



انحجب وانحصر وتم احتكاروا... وفوق كل هاد صار في حجر طوعي لزمتموا فيه غالبية الناس...

لك الموضوع كبير - كبير كثير حتى ع البلدان المتطورة، ومثل ما شفتنا بلدان بقمة تطورها الطبي «ع أساس» ورغم كل الإجراءات يلي كانت أخذتها - فلت الموضوع من إيدها واستسلمت للأمر الواقع... فنحن يلي تركتونا - تركتونا لرحمة الله مثلاً??

يمكن الحجر الحقيقي يلي لازم يصير - لازم يصير عليكون وع كل مسؤول بهل التسبب والفلتان وعدم المبالاة... إجراءاتكون ما عم تكون بالشكل المطلوب لأنو ببساطة كل مسؤول بدو مسؤول فوق راسو ليشغل بضمير ويقدم الخدمات الواجبة عليه والإجراءات الحقيقية يلي لازم تتقدم لنا ليحافظوا ع روحنا لأنو هاد واجبون هنن كمسؤولين!!

مثل ما قالو الطلاب المحجور عليهم «حياتنا مولعبة بإيديكون»...

مواطن معزز مُكرم شوي... ومو ماعدينو بزربية مثل الوضع السابق...

بس القصة ما انحلت عفكرة... لهلق العالم محشورة فوق بعضها وما في حجر عليهمون...

يا عيني يا روجي يا أنتو شكلكون ما عندكون فكرة عن معنى كلمة حجر أو مدى خطورة الموضوع!!

الحجر يعني كل شخص بيتم وضعوا بغرفة لحالو... غير مسموح إنو يطلع برا غرفتو... لك إذا كان واحد بس حامل الفيروس بهل الشكل لكل انتقلوا العدوى وصاروا مصابين يا جماعة!!!

القصة مانا مزحة... وهل التصريحات يلي عم تطلع لموضوع إنو المقيمين مو عاجبون وعم ينفقوا كثير وإنكون رح تحجروا كل مين زارون... وووو الخ، ما بتقينا من الإصابة! العالم لهلق أخدة الموضوع بشكل مسخرة ومألوسة بالرغم من جدية الموضوع وخطورتو والسبب أنتو يا عيني، ما عاد طالع بإيدها شي! كونوا يلي لازم تعملوا

## اجتماعات وحشود رسمية بلا كمادات ووقاية

الثابتة والمتحركة، تسير على هذه الوتيرة من عدم الالتزام بمعايير الوقاية والاحتران، وقد أصبحت فرصة تندر وتهكم على السنة المواطنين، فكيف يتم الطلب من المواطنين الالتزام الطوعي ببعض الإجراءات الاحترازية والوقائية، وعدم الاستهتار بها، وبنفوس الوقت يشاهد هؤلاء أن المعنيين بإصدار ومتابعة هذه الإجراءات غير ملتزمين بالحد الأدنى منها، المتمثل بوضع الكمامة مثلاً، ناهيك عن مشاهدة الحشود في الأماكن والقاعات المغلقة!!

ونختم بما قاله أحد المواطنين: «لك مو شاطرين إلا بالحكي، كيف بدهم يلزموا الناس ويحجروا عليهم وهنن نفسهم مو ملتزمين».

التي يجري الحديث عنها، وتجاوزتها مباشرة بكل أسف من قبل المعنيين بالتشدد بهذه الإجراءات ومتابعة حسن تنفيذها. مع العلم أن فاعلية ودور الصورة على المستوى الإعلامي لها أثر ودور أكبر في نقل الرسالة المطلوبة من المحتوى المروج له إعلامياً، وتأثيرها المباشر على المتلقي أكبر بكثير من فاعلية أي كلام في مضمون هذا المحتوى.

### فرصة تندر وتهكم

الصور التي يجري الحديث عنها ليست الأولى من نوعها، فالكثير من الاجتماعات واللقاءات الرسمية التي يجري تغطيتها عبر الصور،

### سقوط التوجيهات الوقائية

الاجتماعات أعلاه جرى خلالها التوجيه بالتشدد في تنفيذ التعاميم الصادرة عن المحافظة والمتعلقة بإغلاق الحدائق العامة والأسواق والمحال التجارية والخدمات باستثناء مراكز بيع المواد الغذائية والتموينية والصيدليات والمراكز الصحية الخاصة، وذلك بناء على ما تقرر برئاسة مجلس الوزراء لاتخاذ الإجراءات والتدابير الاحترازية اللازمة لمواجهة التدايعات القائمة والمحتملة لانتشار وباء فيروس كورونا. بالمقابل، فإن الصور المتداولة، كجزء من التغطية الإعلامية عن الاجتماعات أعلاه، أسقطت كافة التوجيهات والتدابير الاحترازية



رئيس المكتب التنفيذي، وعضو المكتب التنفيذي لقطاع الصحة والشؤون الاجتماعية والدفاع المدني وعدد من المدراء المعنيين.

فقد عقد في محافظة دمشق اجتماعات متتاليان بتاريخ 2020/3/21، ضمّاً رؤساء دوائر الخدمات والمخاتير، بحضور رئيس مجلس المحافظة ونائب

تم تداول بعض الصور لاجتماعات جرى عقدها في محافظة دمشق، حيث ظهر العشرات مزدحمين في قاعة الاجتماعات، متلاصقين ومتكاتفين، وبدون أي إجراء وقائي فردي، فالجميع دون استثناء بلا كمادات، وهو الإجراء الاحترازي الوقائي الشخصي الأول والهام والضروري في ظل الحديث عن الخشية من جانحة الكورونا..

تعيش سورية كارثتها الإنسانية منذ عام 2011، وتعيشها في لحظة عالمية معقدة تتفاقم فيها الأزمة الاقتصادية العالمية التي لا يمكن فصل وباء كورونا عنها... فالوباء كأخر المعطيات التي تكشف عورة أزمة المنظومة الرأسمالية وتخلفها، يكشف أيضاً هول المصيبة السورية إنسانياً والتي تجعل انتشاره خطراً قد لا يكون لدينا قدرة على إدارته، وتحديداً بالبنية السياسية والاقتصادية الحالية التي وصلت لصعوبة إدارة توزيع الخبز، وفضائح في إدارة عملية حجر أقل من 100 مسافراً!

## مستوى الجاهزية السوري... للكوارث الصحية! الازدحام - الإنفاق الصحي - الأسرة - والكوادر



### عشائر محمود

**أولاً: الكثافة السكانية:**  
يطرح الوباء أسئلة هامة حول التشوهات التي تخلقها المنظومة، وأهمها: الكثافة في المدن والمراكز الحضرية الناجمة عن سوء توزيع الثروة والنشاط الاقتصادي وفرص العمل. فالفيروس الذي يستطيع شخص أن ينقله لـ 700 شخص في نطاق محصور ومختلط «كما في حالة السفينة السياحية في اليابان» يجعل المدن المكتظة أكثر عرضة للوباء. وهو ما دفع الصين إلى إغلاق كامل لمدينة محورية مثل ووهان وتضم أكثر من 11 مليون نسمة، والوصول إلى منع الخروج تماماً مع القدرة على إيصال الطعام للسكان إلى منازلهم، وبناء مشفى ضخم في أسبوع!  
المدن السورية الأساسية مكتظة إلى حد بعيد، وكثافة سكانية عالية... وتحديداً مع موجة النزوح الداخلي الواسعة من الأرياف المشتعلة وأحياء الضواحي المدمرة إلى مراكز المدن، وتحديداً في دمشق وحلب.

تجري قاسيون مقارنات لبعض المؤشرات الصحية الأساسية دولياً، والمعتمدة من منظمة الصحة العالمية، مع بعض المؤشرات الأخرى المرتبطة بطبيعة انتشار الوباء... لقراءة حجم «الجاهزية السورية» لمواجهة انتشار وباء من هذا النوع، بالمقارنة مع الدول الأكثر تضرراً عالمياً.



على إنفاق سنوي من الحكومة بما يقارب 2100 دولار، تعاني من انهيارات في قدرة النظام الصحي على مواجهة مستوى الانتشار، وتصل إلى حد سياسة «طب الحروب» حيث تضطر إلى اختيار من ينبغي إنقاذه ومن يمكن خسارته من بين مواطنيها!

في إيران يحصل الفرد على 226 دولار سنوياً كإنفاق صحي من الحكومة، وهو معدل أقل بكثير، ولكنه ليس بعيد عن المعدل الصيني حيث لا يتجاوز الإنفاق الصحي العام للفرد 230 دولار سنوياً. أما في سورية فإن الفرد لا يحصل إلا على 20 دولار سنوياً من الإنفاق الحكومي العام على الصحة، أي رقم إجمالي يقارب 350-400 مليون دولار سنوياً. تعاني ما تعانيه من هدر كحصّة للفساد، كما في كل الإنفاق الحكومي العام... وهذه المبالغ بعد الهدر لا تنعكس في تطوير البنى التحتية للمشافي وتوسيع عدد الأسرة، وتطوير التجهيزات، وزيادة دخل الكوادر الطبية بحيث يمكن إبقاؤهم في البلاد وإيقاف النزيف الحاد في هذه الشريحة المحورية...

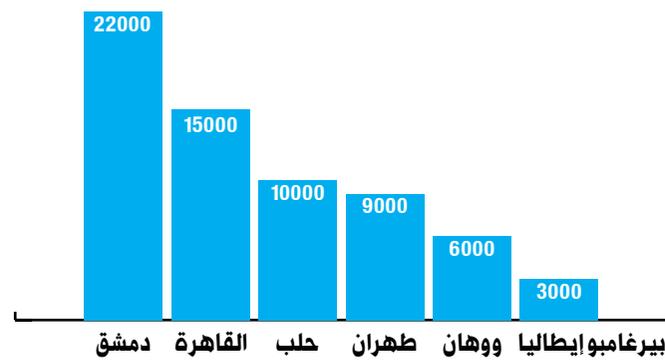
تضم أعلى عدد من العاطلين عن العمل، ومن العمال المياومين، ومن كثافة السكان في وحدة المساحة المنزلية... وتعاني أيضاً من سوء خدمات النظافة والصحة وغيرها، والتحدي كبير في هذا المجال.

**ثانياً: حجم الإنفاق الصحي الحكومي**  
يعتبر هذا المؤشر من أهم المؤشرات الصحية والتنموية، ورغم أنه لا يتطابق كثيراً مع معدلات انتشار المرض ومعدلات الوفيات «فعلى سبيل المثال: إنفاق الحكومة الصينية على الفرد أقل بكثير من إنفاق الحكومة الإيطالية، ولكن معدلات الموت في إيطاليا أعلى، لأن العامل الحاسم فيما ينضح حتى الآن على الأقل هو وقف الانتشار وحصره، الأمر الذي تأخرت إيطاليا بتطبيقه مقارنة بالصين».  
ولكن عموماً، يحمل هذا المؤشر دلالات على القدرة على المواجهة في حال الانتشار، ويعبر عن كم الإنفاق والمخصصات الاجتماعية للصحة العامة، والوضع السوري هنا هو الأخطر... فدولة مثل إيطاليا يحصل الفرد فيها



**في سورية يحصل الفرد على 20 دولار سنوياً من الإنفاق الحكومي العام على الصحة، ما يقارب 350-400 مليون دولار سنوياً. تعاني ما كحصّة للفساد**

### الكثافة السكانية في المساحة - نسمة / كم<sup>2</sup>

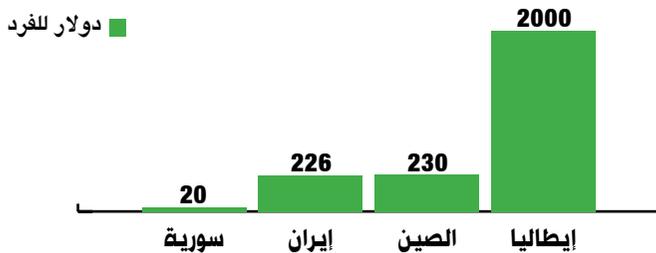


الشكل التالي يوضح أن دمشق المدينة ذات الكثافة السكانية المرتفعة بشكل استثنائي، هي واحدة من المراكز الخطرة للانتشار. فمركز مدينة دمشق في عام 2013 كان في المرتبة 24 عالمياً للكثافة السكانية في وحدة المساحة، ففي كل كم مربع من دمشق يتواجد وسطياً 22 ألف شخص! ما يجعلها أعلى كثافة من القاهرة التي تضم أكثر من 20 مليون نسمة. وهذا المعدل قد ارتفع لاحقاً مع توسع النزوح الداخلي، وزيادة الدمار في المناطق الريفية المحيطة، والنسب القليلة لعودة السكان إلى مناطقهم في أرياف وضواحي دمشق.

حلب أيضاً كمركز مدينة ذات كثافة سكانية عالية، ففي مساحة تقارب 190 كم<sup>2</sup> يتواجد قرابة 2 مليون شخص، مما يجعل الكثافة فيها تفوق 10 آلاف نسمة في الكم<sup>2</sup>. إن هذه الأرقام تعني انتشاراً سريعاً

للوباء في حالة عدم تطبيق الحجر بشكل واسع، وربما حتى في حالة تطبيقه مع كثافة عدد الأشخاص في المنزل الواحد! ولكن الحجر هو الحد الأدنى الضروري والحاسم.  
إن الكثافة في حلب ودمشق، أعلى من الكثافة في المدن والمراكز الثلاثة التي شهدت أعلى انتشار للوباء عالمياً حتى الآن، حيث الكثافة في مركز مدينة ووهان 6000 نسمة في الكم<sup>2</sup>، وفي طهران 9000 نسمة، وفي بيرغامو في الشمال الأوسط الإيطالي 3000 نسمة في الكم<sup>2</sup>.

### حصّة الفرد من الإنفاق الحكومي السنوي على الصحة



المصدر: WORLD BANK DATA



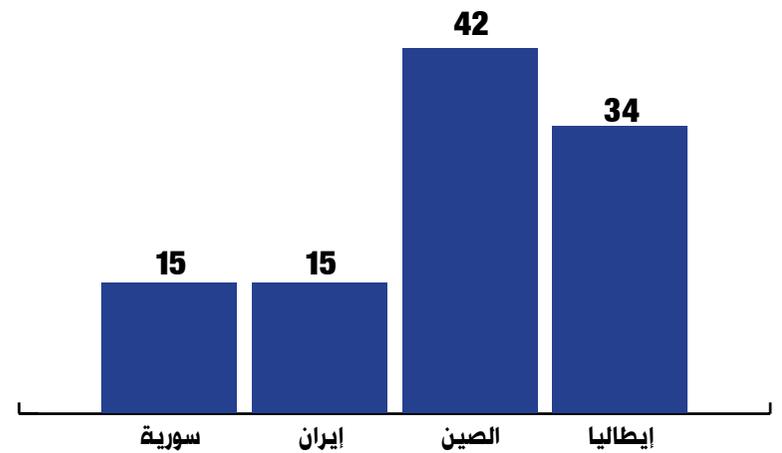
التحتية السورية لمواجهة المرض في حالة انتشاره! وتؤكد هذه الأرقام أيضاً أن الحجر هو الحل الأضمن والمطلوب سريعاً.

### أسرة المشافي كمؤشر بني تحتية

لدى منظمة الصحة العالمية قائمة بـ 100 أهم مؤشر صحي عبر العالم، وتتوفر المقارنات الدولية لهذه المؤشرات في أعوام متباعدة، حسب مستوى التزام الدول بالتزويد بالمعلومات، ولكنها المصدر الأساسي والأشمل لمقارنة دولية. نستخلص منها مؤشرات للمقارنة في عام 2017 لبعض تفاصيل الخدمات الصحية، وأهمها: مؤشر عدد أسرة المشافي لكل 10 آلاف شخص، كمؤشر على القدرة الاستيعابية، وأيضاً المؤشر السوري هنا خبير... ومنخفض بمستوى قياسي.

قد لا يكون حجم الإنفاق الصحي هو العامل الحاسم في الجاهزية، فالصين بإنفاق أقل من إيطاليا بعشر مرات تقريباً استطاعت التعامل مع الوباء بفعالية أعلى، لأن نسبة هامة من إنفاقها متركزة في الاستثمار في تشييد المشافي في مراكز المدن الكبرى، وفي البحث العلمي الطبي، وكلا العاملين كانا حاسمين في التعامل مع الانتشار، ولكن بعد تطبيق العزل والحجر الشامل. ولكن هذا الرقم يعكس حجم تراكم المرافق والخدمات في القطاع الصحي، ولكن هذا الاختلاف يعطي جرس إنذار هام فحتى في إيطاليا «التي تنفق على الفرد 100 ضعف إنفاقنا على الفرد» لم تستطع البنية التحتية الخدمية أن تنتشر انتشار الوباء بكفاءة، وارتفعت معدلات الموت إلى أعلى من الصين. وهو يعكس انعدام جاهزية البنية

### عدد أسرة المشافي لكل ألف شخص



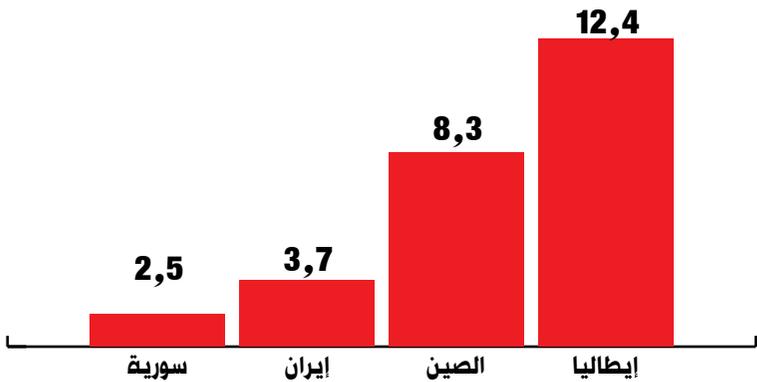
المصدر: who- Global Health Observatory country views

أيضاً المؤشرات السورية تدهورت. الكوادر هنا: أطباء، ممرضون، مخبريون، أطباء أسنان ومختلف العاملين في القطاع الصحي.

### الكوادر الطبية والصحية

مؤشر هام آخر هو عدد الكوادر الطبية لكل 1000 شخص، وهو أحد المؤشرات المعتمدة عالمياً لقياس كفاية الكفاءات البشرية. وهنا

### عدد الكوادر الصحية لكل 1000 شخص



المصدر: Global Health Data Exchange (GHDx) - health related SDGs

الأمم المتحدة ومؤشر التنمية المستدامة الصحي. إذ وفق البيانات السورية فإنه مقابل كل ألف شخص هناك 4,7 كادر صحي من أطباء وأطباء أسنان وممرضين وصيادلة، والمرجح أن الرقم السوري أقل دقة لأنه وفقاً للمجموعة الإحصائية فإن الكوادر المشمولة هي المسجلة في النقايات السورية والذين يمكن أن يكونوا خارج البلاد رغم وجود أسمائهم في السجلات النقابية التي لم تتقلص أعدادها خلال سنوات الأزمات! وهو مخالف لوقائع الهجرة الواسعة للأطباء.

وفق هذا المؤشر أيضاً الوضع السوري سيء من حيث الجاهزية، فمقابل كل 1000 شخص هناك 2,5 كادر طبي وتمريضي وصيدي ومخبري، ونسبة الأطباء بالتالي أقل بكثير. ووفق هذا المؤشر تتضح خطورة الانتشار، فعدد مثل إيطاليا بمعدل كوادر صحية للسكان أعلى من سورية بـ 5 مرات تقريباً، تعاني اليوم نقصاً في الكوادر وإنهاكاً للعاملين. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن البيانات السورية للمجموعة الإحصائية لعام 2017 تختلف عن هذه النسبة المأخوذة من بيانات

وهو ثلث المعدل الصيني ويعكس البنية التحتية المنخفضة في القطاع الصحي. الأرقام الدولية هنا تتقارب مع الأرقام السورية في المجموعة الإحصائية - الصحة لعام 2017، والتي تشير إلى أن عدد الأسرة لكل 10 آلاف شخص يقارب 14 سرير. في دمشق هناك سرير لكل 360 شخص تقريباً حيث يتكثف وجود المشافي فيها، وأسوأ وضع هو في حماة حيث هناك سرير لكل 1100 شخص تقريباً، وفي ادلب سرير لكل 1260 شخص. بينما في حلب وريف دمشق سرير لكل 750 شخص تقريباً، وهنا طبعا مشاف عامة وخاصة. بينما استطاعت العناية المشددة في مشافي وزارة الصحة أن تستقبل 56 ألف حالة خلال عام. إن عدد الأسرة وتحديدياً في غرف العناية المشددة عامل حاسم في مواجهة هذا الوباء، واستيعاب حالاته الحادة، وبهذا المعدل نحن في موقع بعيد عن الدول الأخرى...

يتبين من هذه المقارنة أن الإنفاق الإيطالي الحكومي المرتفع على الصحة لا يعكس في البنية التحتية للمشافي وللتعامل مع حالات الطوارئ، بينما التركيز في الصين هو على الاستثمار في المشافي الحكومية الكبرى ذات الطاقة الاستيعابية الهائلة وتحديدياً في مراكز المدن، الأمر الذي يعكس ارتفاع عدد الأسرة المتوفرة لكل 1000 شخص في الصين بمعدل أعلى من إيطاليا التي تراجع عدد الأسرة فيها بين عامي 2008-2017 من 44 سرير لكل ألف شخص إلى 34 سرير وزاد عدد السكان دون زيادة عدد المشافي والمرافق التي تم إغلاق بعضها لتراجع قدرة الإنفاق على الخدمات العامة. إذ ينبغي ذكر أن الإنفاق الصحي للفرد في إيطاليا من بعد أزمة عام 2008 تراجع بنسبة تفوق 25%، وخسر المواطن الإيطالي ربع الإنفاق الصحي العام مع سياسات التقشف المالي التي عمّت أوروبا. المعدل في إيران وسورية متقارب ومنخفض في الوقت ذاته، 15 سرير لكل ألف شخص،

## الوباء في سورية... طبقي أيضاً والخصاص طبقي

الذين يجب أن تدرج أموالهم واحداً واحداً، وتستعد لتوضع في خدمة المنهوبة منهم في سبيل استمرار حياة الأغلبية، ومنع الدخول في تدهور استثنائي جديد.

كوروناً واحد فقط من أزمات المنظومة العالمية وفتاحة مهمة لعام 2020، عام انقراض الأزمة الاقتصادية العالمية الذي سيجمل العديد والعديد من التأثيرات على سورية ولن يقف عند وباء صحي، بل سيستمر إلى ارتفاع متوقع في أسعار السلع العالمية وتوقف الأوهام بتدفق المال من الخارج وصعوبة تأمين تدفقات في السلع... ما نعيشه يفتح وسيفتح كل الاحتمالات، وطريق البقاء الوحيد إنهاء منظومة النهب واستعادة ما سرقوه لمواجهة الأزمات، وانتشار البلاد وعموم أهلها.

قوى المال مرتفع ومهيمن على القرار. البعض يصرخ منادياً المجتمع المدني، ولكن مجمل المساعدات الصحية الدولية من منظمات الإغاثة العالمية التي تسرح على ضفاف الأزمة السورية لم تؤمن إلا نسبة قليلة من إنفاق الفرد على الصحة في سورية، فـ 44 دولار سنوياً يدفع أكثر من نصفها المواطن السوري، وتدفع الدولة عشرين دولار، والباقي القليل تدفعه المنظمات.

هذه الأزمة ككل الأزمات تضع النقاط على الحروف، فإما المال العام يستطيع انتشار السوريين أو إن تدهورهم بل «الاصطفاء الطبيعي الطبقي الوحشي» سيستمر. أما المال العام فليس في خزائن الدولة، بل في خزائن أمراء المال والبيروقراطية والفساد، هؤلاء

إعالة نفسه يتسطيع البقاء في المنزل، من يملك عملاً مستقراً نسبياً ومنتظماً أيضاً قد يمتلك الفرصة لتخفيف ساعات الدوام والأبقاء على دخل مستقر حتى الآن! ولكن ماذا عن النسبة العظمى من القوى العاملة السورية العاطلة عن العمل، أو التي لا تعدها الإحصاءات السورية في عداد العاملين؟ ماذا عن الأسر التي ترسل أفرادها جميعاً يومياً لكسب الرزق بكل الطرق الممكنة؟

قد يكون الحجر استحالة في الطرف السوري، وتحديدياً إذا ما طال، وأكثر ما نحتاجه هو وجود دولة، والمفارقة أن كل معالم جهاز دولة الخدمية قد تهتكت، ومرّ جهاز الدولة باختبارات عديدة سابقة خلال سنوات الأزمة أثبت أن أداءه لا يستطيع أن يرتقي أو يقترب إلى مستوى الأزمات، لأن أداء

في سورية مدن مكتظة وملايين يتجمعون في مئات الكلوميترات المربعة حيث تتركز فرص العمل وكسب الرزق، ولهؤلاء الملايين لا يوجد ما يكفي من إنفاق حكومي صحي يؤمن ببنية تحتية صحية قادرة على استيعاب الحالات الصحية العادية وليس الطارئة، عدد أسرة مشافي وكوادر طبية منخفضة قياساً بالسكان، وانتشار وباء بسرعة مثل كورونا سيؤدي إلى فقدان المزيد والمزيد من السوريين بعد كل ما مر على هذه البلاد.

جميع المؤشرات تقول: إن قدرتنا على مواجهة الانتشار قد تكون ضمن الأسوأ عالمياً، والمهمة الأساسية هي منع الانتشار... والطريقة الأمثل هي: الحجر، ولكن هل نستطيع إدراك ما الذي قد يعنيه الحجر، الحجر أيضاً طبقي... فالقادر على

# الأزمة المتسارعة... الولايات المتحدة إسعاف مالي وتجهيز عسكري



الأيام والأسابيع القليلة الماضية حافلة بأحداث متسارعة على مستوى الاقتصاد العالمي، هذا ما يحدث في لحظة اتقاد الأزمات... تنتشر أخبار الفيروس والتصريحات حوله والإجراءات المرتبطة بنتائجها، ولكن خلف الأبواب المغلقة يناقش إسعاف المنظومة، كيف ستوزع التريليونات التي تم ضخها لإطفاء الحريق، واختيار من سيبقى على قيد الحياة ومن سيتبرك للموت من القطاعات الاقتصادية أيضاً وربما من البلدان.

## ليلك نصر

لا إبداع في محاولة مواجهة الأزمة مالياً، فالمنظومة الغربية اختارت أن تطبع المزيد من المال «حرفياً» لتسعف السوق وتضخ السيولة في شريانها، كي لا يتم الوصول إلى حالات إعلان إفلاس غير متحكم بها. وبلغ مجموع حزم الإنقاذ المعلنة في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فقط: 2,9 تريليون دولار، أي ربع ما تم الإعلان عن ضخه منذ عام 2008 وحتى اليوم «ضخّت البنوك المركزية سياسيات التيسير الكمي بعد 2008 أكثر من 11 تريليون دولار».

أعلن الفيدرالي الأمريكي أن حزمة الدعم المالي ستصل إلى 2 تريليون دولار، من بينها الجزء الأقل حوالي 500 مليار دولار ستوزع على كل أمريكي فوق سن الـ 18 بمقدار 1000 دولار كحزمة إنقاذ، وضخ للسيولة، ولا يزال النقاش دائراً حول من يستحقها ومن لا يستحق. ولكن الجزء المتبقي الأكبر سيكون عملية شراء الفيدرالي لسندات الخزينة الأمريكية، أي إسعاف الحكومة بمزيد من الدين كي تتمكن من الاستمرار بأعمالها. وشراء سندات ديون الشركات، التي لم يتضح حتى الآن أين ستتركز ومن سيتم إنقاذها، وهنا يتم الاختيار... ما هي القطاعات أو الشركات التي تستحق الإنقاذ ومن ستترك لمصيرها. إنها عملية إعادة هيكلة واسعة يشتري بها مالكو المال العالمي في الفيدرالي الأمريكي حصصاً هامة في كبريات الشركات، بل والقطاعات التي تصل لحد طلب المساعدة في ظروف كهذه، أي تجري عملية إعادة هيكلة للثروات والقطاعات ليزداد تمركزها.

ولكن الأسهم الأمريكية تستمر بالتدهور، والحزم المعلنة لم تجد تأثيرها الواسع حتى الآن، باستثناء مؤشرات مؤقتة لاستقرار أسهم البنوك الخمس الأمريكية الكبرى التي استقرت أسهمها خلال الأيام الخمسة الماضية «حيث الأولوية للقطاع المالي الأمريكي الذي يملك ربع الديون وأكثر من 20% من الناتج»، وبالمقابل يستمر تدهور أسهم قطاع التكنولوجيا، والنפט والصناعات، حتى الآن.

على الضفة الأخرى من الأطلسي وفي الاتحاد الأوروبي الأمر ذاته، الأسواق بوضع انهيار منذ منتصف شهر شباط، الشركات والبنوك الأوروبية تفقد قيمة أسهمها. والحكومات والبنك المركزي الأوروبي يضح سيولة بمستوى غير

مسبق، وأكثر من 870 مليار يورو موزعة على دفتين تم الإعلان عنهما خلال أقل من أسبوع.

## هل تستمر الثقة بالفيدرالي والدولة؟

إن مستويات الضخ الإسعافي المعلنة هائلة وهي تقارب الخسائر المقدرة لسوق الأسهم 2,7 تريليون دولار... والآلية بسيطة. فالحلول الإسعافية وتدخل الفيدرالي يفترض أن يرفع الثقة بالدولار ويرفع قيمته لتتوجه الأموال الهاربة من سوق الأسهم ومن الشركات إلى سندات الدولار، ليقوم الدولار وعموم القطاع المالي لاحقاً بإسعاف الشركات ومنعها من الانهيار أو بشكل أدق تنظيم خسائرها.

إن هذه الحلول الإسعافية تعتمد على طباعة أوراق الدولار أو الأوراق المالية دون تغطية، ونجاحها يعتمد على إيجاد غطاء لاستمرار قوة الدولار في المرحلة المؤقتة، على الأقل.

قوة الدولار تحتاج لغطاء من الثقة، أساسه في الداخل الأمريكي: الموثوقية بالفيدرالي الأمريكي من جهة، أي بالقطاع المالي الأمريكي وهيمنة الدولار، ولكن الأهم بالحكومة الأمريكية من جهة أخرى وفعالية دورها الخدمي والأبرز القمي.

حيث يجب أن يوجد ما يضمن إشباع هذه الأوراق المطبوعة بالثقة، وتحولها إلى الملجأ الأساسي... للأموال الهاربة من سوق الأسهم.

ولكن... هذه العمليات التي قد تنجح مؤقتاً في أمريكا، ومن الصعب أن تنجح تماماً في أوروبا، فالموثوقية في المركزي الأوروبي وفي الوضع المالي للحكومات والدول مهتزة إلى حد بعيد مع المشاكل القديمة والجديدة، وعدم وجود وحدة كاملة في الاتحاد الأوروبي، وتفاعلات ما بعد أزمة عام

2008 المستمرة حتى الآن، وحدة الوفاء والتوقف المتركة في أوروبا، والقدرات المالية والعسكرية الأضعف للبنك المركزي والحكومات قياساً بالولايات المتحدة.

يمكن القول: إن هذا السيناريو هو ما حدث في عام 2008، لقد انتشل الفيدرالي الأمريكي والوزن العسكري الأمريكي كتلة الدولار والمال الهائلة التي تم ضخها ومنع انفجارها، بل شهدت أمريكا معدلات نمو أعلى من غيرها من دول المركز الغربي خلال عقد مضى معتمدة على الضخ المستمر للمال.

ولكن السؤال الأساسي يبقى: ما الذي سينتشل قيمة هذه الدولارات والمال الهائل في الأمد المتوسط؟ إن وزن الدولار وهيمنته تأتي من الخارج: من الهيمنة العسكرية والتكنولوجية والمالية، إضافة للهيمنة الإعلامية والثقافية. وجميع هذه العوامل اهتزت إلى حد بعيد بعد عام 2008، وتلقت ضربات كبرى في أزمة كورونا وحدها! العالم تغير كثيراً بين 2008-2020، والدولار والموثوقية به مهددة تحديداً من خارجه، الفشل العسكري الأمريكي في العديد من ملفات التصعيد الدولية وارتفاع قدرة الردع، التصاعد الكبير في الوزن الصيني وعموم القوى الصاعدة اقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً وتجارياً وسياسياً ومؤخراً خدمياً وإنسانياً...

من الصعب أن تجد الولايات المتحدة حلاً في خارجها... إلا بتدمير الخصوم، وهو الأمر الذي كانت تحاول فعله خلال عقد مضى. والمعركة تنتقل إلى الداخل الأمريكي بحدة وسيكون على «الدولة الأمريكية» أن تثبت هيمنتها على مجتمعاتها، وأن تضمن للأثرياء قدرتها على الدعم والأهم القمع. وحتى

هذا قد لا يمنع انتقال الأموال الأمريكية إلى السوق الصينية مثلاً التي تتحضر مؤقتاً إلى معدلات نمو عالية ترمم خسارات التعطل في الأشهر الثلاثة الماضية.

## العسكرة الداخلية الاحتمالات تبدو قريبة

الطابع العسكري للتعامل مع «أزمة كورونا» في الولايات المتحدة، هو الطابع العسكري للتعامل مع الأزمة الاقتصادية الحالية. ترامب يقول: إنه «رئيس مرحلة حرب»، وتم إعلان الطوارئ، والجيش بدأ ينسحب من بعض مناوراته العسكرية الخارجية، ويتجهز «لمحاربة الفيروس» في الداخل الأمريكي... والمجتمع الأمريكي يخزن الأسلحة كما يفعل مجتمع عنيف يتحضر للحظة أزمة كبرى.

ما زلنا في بداية الطريق، والتنبؤ بالاتجاهات عملية معقدة، ولكن المحسوم: أن الحزم الإسعافية ستنظم إعادة توزيع الثروة والقطاعات في السوق الأمريكية، وأن التراجع الاقتصادي المستدام شبه حتمي. بأفضل الأحوال قد تتم مواجهته بتوسيع الخدمات والبنى التحتية الأمريكية، أي أن يلعب جهاز الدولة الأمريكي لعبة «روزفلت» في لحظة أزمة الثلاثينيات ويضطر لإعادة التوزيع باتجاه المجتمع «كما يمثل خيار بيرني ساندرز كمرشح للرئاسة» ولكن هذه العملية تتطلب القدرة على تحقيق الربح من الخارج وتوسيع الدمار في الخارج كما حصل في الحرب العالمية الثانية، وهو أمر صعب في عالم اليوم، ويبدو أن الحكم الأمريكي غير جاهز للتنازل للداخل الأمريكي الآن. ما يجعل ترجيح الخيار البديل «الفاشي» وهو العسكرة حاضراً أكثر للمستقبل الأمريكي القريب!

يبدو أن الحكم  
الأمريكي غير  
جاهز للتنازل  
للداخل الأمريكي  
الآن. ما يجعل  
ترجيح الخيار  
الفاشي وهو  
العسكرة حاضراً  
أكثر للمستقبل  
الأمريكي القريب!

# الجائحة فرصة ذهبية للمستغلين



«الكورونا» أصبحت فرصة استغلالية جديدة لم يتم توفيرها من قبل المستغلين والمحتكرين، كباراً وصغاراً، في الأسواق، فقد ارتفعت الأسعار بشكل كبير خلال الأسابيع القليلة الماضية، مع جرعة إضافية أنت خلال اليومين الماضيين مع استكمال الإجراءات الحكومية الاحترازية بالإغلاق والتوجيه بالالتزام بالحجر الطوعي للمواطنين والتهديد بالوصول للحجر الإلزامي بحال عدم التقيد.

كما هناك تزايد لحال الاستغلال والتفلسف السعري، ليس بين سوق وآخر، أو بين محل وآخر، حسب المنطقة، بل بين زبون وآخر في نفس المحل في بعض الأحيان، وبين ساعة وأخرى، فالفرصة المتاحة لا يمكن أن يتم توفيرها من قبل شريحة المستغلين والمتحكمين بالأسواق، فكيف الحال مع جائحة مرضية مخيفة وقد أصبحت فرصة ذهبية على أيدي هؤلاء.

## زيادة الطلب بمسؤولية المترفين

ربما يتم الادعاء بأن المواطن يتحمل جزءاً من مسؤولية ارتفاع الأسعار بسبب إقباله على شراء السلع والمواد، بسبب حال الهلع التي تم تميمها عبر وسائل الإعلام بالتوازي مع حملات الحديث عن الجائحة، وربما في ذلك بعض الحقيقة.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الغالبية الفقيرة من المواطنين بالكاد تستطيع تأمين سلعها واحتياجاتها اليومية من المواد الغذائية بالدرجة الأولى والأهم، وهذه الشريحة ليس باستطاعتها زيادة الشراء من أجل التمتع، وبالتالي فليست هي المسؤولة عن زيادة معدلات الطلب في الأسواق.

على الطرف المقابل لا يمكن إغفال دور شريحة الأغنياء والأثرياء الذين كان لهم الدور الأكبر على مستوى زيادة الطلب على السلع، وهذه الشريحة ربما لا تعينها الأسعار ومعدلات ارتفاعاتها بقدر ما يعينها ألا تتأثر أنماط حياتهم ومعيشتهم ورفاهيتهم وبذخهم.

وبمطلق الأحوال، إن ذلك لا يعني أن زيادة

فالبطاطا، التي كانت تعتبر طعام الفقراء، وصل سعر الكيلو منها إلى 600 ليرة وتجاوزته في بعض الأسواق والمحال، والبصل وصل لحدود 800 ليرة، والليمون لحدود 1000 ليرة، والبندورة وصل سعرها لحدود 700 ليرة، وكذلك الحال على مستوى أسعار بقية الخضار والفواكه، وبقية المواد والسلع الغذائية «الألبان والأجبان - البيض - اللحم الأحمر...» بالإضافة طبعاً لمواد التنظيف والمعقمات، التي زاد الطلب عليها بهذه الفترة.

## جنون الأسعار والفرصة الذهبية

القرارات والإجراءات الحكومية الاحترازية المتخذة حرصاً على صحة وسلامة المواطنين، كانت نتائجها وبالأعلى هؤلاء بسبب ارتفاع وتائر الاستغلال في الأسواق، سواء من قبل كبار التجار والموردين والمحتكرين، أو من قبل الصغار من أصحاب المحال التجارية، علماً أن وتائر ارتفاع الأسعار كانت قد بدأت قبل الإجراءات الحكومية، لكنها تزايدت بشكل كبير معها وبعدها، وما زالت مستمرة دون سقوف.

فمع أول يوم لتنفيذ الإغلاق الحكومي المعن والمعمم، جنت الأسعار بشكل كبير، علماً أن الإغلاق استثنى أسواق ومحال الخضار والفواكه والغذائيات والمواد التموينية الأساسية وغير الأساسية، بالإضافة للمنظفات، وكذلك الأفران والصيدليات... ومع ذلك فقد سجلت الأسعار ارتفاعاً ملحوظاً على جميع السلع والمواد.

ارتفاع الأسعار لن تقف عند أية سقوف، خاصة في ظل استمرار أشكال الرقابة الهشة المتبعة، وبسبب عدم فاعلية دور السورية للتجارة التي من المفترض أن تستثمر هذه المرحلة لإعادة إثبات دورها المنافس الجدي في السوق، لكن مع الأسف فإن حالها لا تشير لا من قريب ولا من بعيد بذلك، بل على العكس، حيث لم تتمكن من ممارسة هذا الدور على مستوى المواد الغذائية التي وضعت بعهدتها «دعماً».

والنتيجة المفروغ منها، أن الغالبية من الفقيرين سيقفون دائماً وأبداً هم من يدفعون الضريبة على حساب معيشتهم وصحتهم، ولن تكون الجائحة المتمثلة بالكورونا حالياً إلا فرصة ذهبية لزيادة استغلال هذه الشريحة وزيادة أرباح شريحة المستغلين وتجار الأزمات، الكبار قبل الصغار. أين المفر؟!!

الطلب على السلع والمواد تعتبر مبرراً لرفع أسعارها بهذا الشكل الاستغلالي الذي وصلت إليه.

## غياب الرقابة والمنافسة

الملفت بالأمر، أن الجهات الرسمية المعنية بمتابعة حركة الأسواق والفعاليات بما فيها من «تموين - صحة - محافظة...» تركز اهتماماتها بالمرحلة الحالية على القطاعات والمنشآت المشمولة بالإغلاق أكثر من اهتمامها بالقطاعات التي تم استثناؤها من هذا الإغلاق، يضاف إلى ذلك ما درجت عليه من ممارسات محابية مع غض الطرف عن الكثير من المخالفات في هذه الأسواق، في الوقت الذي من المفترض أن تزيد من رقابتها ومتابعتها على مستوى الأسعار والمواصفات والجودة. المقدمات حتى الآن تشير إلى أن مستويات

مستويات ارتفاع الأسعار لن تقف عند أية سقوف خاصة في ظل استمرار أشكال الرقابة الهشة المتبعة وبسبب عدم فاعلية دور السورية للتجارة

# مركز أمانة السجل المدني في كفر بطنا..

وتوجيهاتها، أو التزم بوجه أحد الموظفين بسبب التقاسم واللامبالاة والأخطاء... فكيف يمكن لهذا المركز الصغير، وبمثل هذه العقيلة التي تقوم على إدارته، أن يخدم هذا الكم الهائل من المواطنين؟ لا سيما أن الضغط على أمانات السجل المدني بعد فتح الغوطة أصبح هائلاً بسبب تسجيل الوقائع المدنية التي جرت في المنطقة خلال سنوات الحرب الماضية، والتي لم يستطع الأهالي تسجيلها.

## مطلب محق ومشروع

المراجعون والأهالي، ومع تقديرهم لحجم العمل الكبير المطلوب بالمقارنة مع عدد العاملين في أمانة السجل المدني في كفر بطنا والضغط الكبير عليهم، يطالبون بحقوقهم في الخدمة الجيدة مع الحفاظ على كراماتهم، بعيداً عن أشكال الارتجال والاستقواء والتهديد والوعيد، وبعيداً عن الأخطاء المرتكبة التي يدفعون ضريبتها وقتاً وجهداً، وهو مطلب مشروع ومحقق بلا أدنى شك. برسم وزارة الداخلية - محافظة ريف دمشق.

«على مسؤوليتها»، مع أنها هي المسؤولة عن سجلاتها وما يدور فيها!! كما وترفض أيضاً منح أية وثيقة، حسب مزاجها في بعض الأحيان، ونحول المواطنين إلى مراكز أخرى في العاصمة دمشق لاستخراج وثائقهم! وذلك بحسب ما صرح به بعض المراجعين. يضاف إلى ذلك الأخطاء الكثيرة التي تحصل أثناء التسجيل في سجلات النفوس، بسبب إهمال الموظفين، وقلة خبرتهم، وكل هذا يتحمله المواطن.

## الصمت والتهديد بالعقوبات

يقصر المركز الذي يخدم عدة مناطق «كفر بطنا - عين ترما - حزة - سقبا - جسرين» على شبك واحد فقط يخدم مواطني كل هذه المناطق، مع وجود خمسة موظفين في المركز فقط لا غير!

أما الملفت فهي اللافطات التي وضعتها أمين السجل المدني وبتوقيهها، والتي تتعلق بالعقوبات التي تفرض على المواطنين إذا نشب خلاف بينهم وبين أحد الموظفين، وكأنها تهدد للمواطنين بعدم الاعتراض على قراراتها



منات الشكاوى من أهالي وسكان الغوطة الشرقية طالبت مركز أمانة السجل المدني في بلدة كفر بطنا، بسبب التعامل السيء من قبل الموظفين وأمانة السجل المدني في البلدة مع المواطنين.

## ارتجالية بعيداً عن القانون

بحسب الشكاوى، فإن بعض القرارات والتوجيهات التي تصدرها مسؤولية المركز، ارتجالية وتعارض مع القوانين سارية المفعول، خاصة بما يتعلق باستخراج وثائق حصر الإرث، حيث ترفض مثلاً منح أية وثيقة

إهانة للمواطنين وتأخير بإنجاز المعاملات فبدءاً بالصراخ، وليس انتهاء بطرد المراجعين وإغلاق الأبواب في وجههم، والتأخير أيام في تسيير أمورهم، إضافة إلى منعهم من التحدث داخل المركز أو التحدث على الموبايل، وكأنها تدير فرع أمن وليس مركزاً مهمته خدمة المواطن!!

# تناقضات المرحلة أجمل ما فيها



## ■ هروء صعب

أفضل ما في أية مرحلة - مهما كانت صعوبتها النابذة من تناقضاتها - الخلاصة التي تسمح لنا بالخروج منها حاملين أملاً ما. العالم حالياً في فوضى وخوف كبير من عزل الدول والأفراد عن بعضهم ومن تفكك الحياة اليومية التي اعتدنا عليها. فوضى نتيجة أننا تعودنا على نمط معين، ولأن الكوكب بأكمله وُضع مباشرة أمام عدم القدرة على السيطرة على الحاضر أو المستقبل. تفكك الوهم التي وضعته الرأسمالية بالقدرة على السيطرة أو على معرفة ما يمكن أن يحصل اليوم أو غداً. وتفكك الوهم الذي أبعد الغرب عن الموت المباشر. ولكن هذا لا يمنع أن الشعور بعدم اليقين طغى على العالم.

إننا نشعر بما نشعر به من خوف وعدم يقين من المستقبل، أولاً بسبب غريزة البقاء والخوف الذي يأتي من هذه الغريزة من خسارة الحياة أو الموت. وهذه الخسارة لا تمثل فقط الموت المباشر، بل أيضاً الموت في أشكاله العديدة، في خسارة الحياة كما نعرفها، في خسارة وجودنا كأفراد ضمن مجموعة، وبالتالي في خسارة حياتنا اليومية. البشر في صراعهم نحو الحياة يحملون الخوف في جميع أفعالهم، وقد جعلوا من الخوف محركاً لهذه الأفعال. وهذا الخوف وعدم اليقين ينتج شعوراً آخر بفقدان الأمل، فمحاولات الاستهزاء أو عدم تحمل مسؤولية في هذا الوضع تنتج بعد مدة، ولكون الأحداث تتسارع بشكل كبير فهذه المدة قصيرة جداً. وبما أن النظام الرأسمالي ربط قيمة الأفراد بإنجازاتهم الفردية، ولأن اليوم في الوضع الحالي من العزل وعدم اليقين لا يسمح بأي إنجاز فردي، فإن هذه القيمة تلاشت وسقطت معها إمكانية العمل الفردي للوصول إلى الأهداف. وهذا ما جعل الأفراد غارقين في تفاصيل حياتهم اليومية التي أصبحت قيمة بالنسبة لهم مهما مثلت في هرمية الإنتاج. وجعل هذا التسابق الفردي الأفراد غارقين في حياتهم اليومية المتسارعة والتي أعمتهم بتسارعها وتسابق أحداثها، وخلقته وهم الإنتاج والوجود. فالיום مع فقدان هذه التفاصيل اليومية وُضع

تحمل هذه الفترة القدرة على النضوج الشخصي والفكري، والقدرة على إنتاج أي جديد، لأننا الآن نملك الوقت المازوم والفرغ أكثر من أي وقت مضى

وحركتها. الإنسان أضعف الكائنات الحية الذي حتى لو استطاع التأقلم مع محيطه، إلا أنه حمل مع هذا التأقلم العديد من الاضطرابات وإمكانات دماره كإنسان. إذا بدأنا من هذا نعلم أنه في أية فترة كانت نحن معرضون للفناء وأننا في كل فترة نصارع نحو الحياة، وهذا الصراع كان وما يزال صراعاً نحو التقدم والإنتاج. لذا تحمل هذه الفترة القدرة على النضوج الشخصي والفكري، والقدرة على إنتاج أي جديد، لأننا الآن نملك الوقت المازوم والفرغ أكثر من أي وقت مضى. وفي هذا الوقت يجب أن نستعيد قيمتنا وقدرتنا على التقدم. فجميع ما يحصل اليوم، من إثبات أن النظام الرأسمالي غير قادر على حماية البشرية، إلى الخوف من الموت الذي جعل العديد يفقد قدرته على التفكير وإنسانيته، إلى فقدان الأمل، والحافز هو إثبات أن ما كنا نقوم به خاطئ ويجب تغييره. وهذا التغيير يبدأ بالمعرفة.

## كيف نصارع الكورونا؟

ليس من السهل أن تنقلب الحياة رأساً على عقب في غضون أسابيع. وليس من السهل أن يرافق ذلك خطر على حياتنا وعلى واقعنا كما هو. ولكن كل مشكلة تحمل صراعها معها وفيها. وتحمل تقدماً ما على الصعيد الفكري أو العملي. وأعلم جيداً أن أي من الاقتراحات التي قد تملأ فراغ اليوم في ظل العزل الذي نعيشه بسبب انتشار الفيروس لن تكون مجدية إذا لم تكن منتجة، وأن بعضها غير ممكن عملياً إما بسبب التركيبة الاجتماعية أو بسبب الفرق اليومي في التفاصيل التي أبعدت الأفراد عن الإنتاج والإبداع والدور. ولكن في هذه الفترة علينا ألا ننسى أن هناك غداً، وخلاصة هذه الفترة سندفع ثمنها عندما تنتهي. الثمن الذي يمكن أن يكون إيجابياً أو سلبياً. وقبل هذا علينا أن نسقط وهم القوة الذي أنتجناه على مدى عقود، تعودنا أننا أقوى من الطبيعة وأقوى من تطورها

محاولات الاستهزاء أو عدم تحمل مسؤولية في هذا الوضع تنفذ بعد مدة ولكون الأحداث تتسارع بشكل كبير فهذه المدة قصيرة جداً

البشر أمام استحقاق الحياة وقيمتها. فالوضع اليوم أعطى الأفراد فرصة لرؤية واقعهم كما هو، وفسحة للتفكير بهذا الواقع. وحتى لو أن الوضع مختلف بين البلدان التي أساساً تعاني من وضع معيشي وأمني صعب، وبين البلدان التي تعيش في استقرار نسبي «مثل الغرب»، إلا أن الجميع يعاني من صراعه نحو الحياة بطريقته. أثبت انتشار الكورونا أن النظام الرأسمالي فشل في حماية الكوكب من خطر كهذا. فالعالم اليوم يعاني من نقص حاد في المعدات الطبية والبنى التحتية اللازمة لمكافحة هكذا فيروس. والذي لن يكون الأخير مع تفاقم مشكلة الاحتباس الحراري. وأثبت أن النظام الرأسمالي جعل من البشر مشوشين ومضللين في أبسط أمور الحياة، فالضياح في تحديد خطورة الفيروس والتعاطي المستهزئ مع الموضوع، وكثرة الإشاعات حوله تعني أن أغلبية البشر لا تعلم ما هو الفيروس وكيف يعمل.



«الربح» في الأنظمة الغربية، بين «احتكار» الشركة تحت ذريعة «حقوق الملكية» لضمانة ربحها مستغلة ظرف الإنسان، وكسر هذا الاحتكار من قبل الناس لضمان حياة بعضهم البعض.

«على المدى القصير» وتلبي بالتالي الضرورة المطلوبة حالياً بكفاءة، مما أدى إلى إنقاذ حياة 10 مرضى من الـ 250 المتواجدين في المستشفى حتى الآن. يبرز هنا، مجدداً، بمثال بسيط، مرض

## حقوق الملكية في مواجهة الحياة

هذه الصمامات تقع في مدينة بريشا، والشركة الطبية التي تقوم بتخديم هذه المستشفى لا تؤمن الكمية المطلوبة من هذه الصمامات، فضلاً عن سعرها الباهظ، مما هدد حياة 250 مريض موجود في غرف العناية المركزة فيها. على إثر هذا الخطر، قام شابان إيطاليان باستخدام تقنية «البطاعة ثلاثية الأبعاد» لإنتاج هذه الصمامات، معرضين أنفسهم للملاحقة القانونية من قبل الشركة المنتجة. حيث قاما بتقديم المقترح لشركة «Intersurgical» الأوروبية، مطالبينها بإعطائهم نسخة من «مخطط التصميم»، إلا أن الشركة رفضت ذلك تماماً تحت

قام إيطاليان بصنع أدوات طبية أنقذوا بها حياة عدد من المصابين بفيروس كورونا المستجد، بعد أن تحدى «حقوق ملكية» الشركة المصنعة واستغلالها، معرضين أنفسهم للملاحقة القانونية. فبسبب عدد الإصابات الكبير، والضغط العالي على المستشفيات والنظام الصحي الإيطالي ككل، بدأت تنفذ بعض المعدات الطبية الضرورية في مواجهة وباء فيروس كورونا المستجد، ومنها «صمام» يدخل في أجهزة التنفس الاصطناعي التي يجري وضعها على الحالات المتقدمة والخطرة من المصابين. إحدى المستشفيات التي بدأت تنفذ منها

ذريعة «حقوق الملكية لبراءة الاختراع»، مما يعني أيضاً تهديد ضمني بالملاحقة القانونية إذا ما قام الشابان بهذا العمل. ليبدأ الإيطاليان باستخدام أسلوب «الهندسة العكسية» على عدة صمامات مستعملة، ويستخلصوا بالتالي «المخطط التصميمي» المطلوب وقاموا بطباعة وإنتاج 100 قطعة وتقديمها للمستشفى. من المفارقة، أن الشركة الرئيسية تباع الصمام الواحد بسعر «10000 دولار»، بينما كلف الشابان دولاراً واحداً لكل صمام. ومع تأكيد الشابان على أن الصمام الأصلي أفضل «على المدى الطويل»، إلا أن الصمامات التي أنتجوها نفي بالغرض

# بعيداً عن «أضواء كورونا»... أمريكا تنسحب من العراق بهدوء



منذ أن طغى وباء كورونا على الساحة الإعلامية، اختبأت ومُرت خلفه العديد من الأخبار والتطورات السياسية الجارية، وأحد الأمثلة الأبرز على هذا، كان التصعيد العسكري في العراق، وما نتج عنه من انسحاب للقوات الأمريكية من قاعدتها العسكرية غربى البلاد وتسليمها للجيش العراقي.

## ■ يزن بوظو

### تصعيد سياسي

في العاشر من شهر آذار الحالي، أعلن البنّاغون عن «نيته» إرسال منظومة دفاع جوي إلى العراق، متجاهلاً بذلك موقف الشعب العراقي الراض للوجود العسكري الأمريكي على أراضيه، والقرار البرلماني الملزم بطردهم، وتلقت القوات الأمريكية في المقابل ومنذ اغتيال قاسم سليمان العبد من الضربات العسكرية والهجمات الصاروخية الموجهة ضد قواعدهم طيلة الأشهر القليلة الماضية. ليكون إعلان نشر منظومة الدفاع، ورغم عدم واقعيته وإمكانيته في ظل هذه المعطيات، تصعيداً سياسياً ربما قام به الأمريكيون كـ«جس نبض» لمدى جدية رفض المنطقة لوجودهم، أو استفزازاً مقصوداً لصنع ردة فعل.

### ردّ سريع

سواء كانت الغاية هذه أو تلك، فقد جاء الردّ الميداني واضحاً من الأراضي العراقية في اليوم التالي مباشرة، عبر الاستهداف العسكري لمعسكر التاجي الذي تستخدمه القوات الأمريكية، شمال العاصمة بغداد، وجاء هذا الاستهداف بـ 10 صواريخ «كاتيوشا» وفق ما أعلن، وأدى إلى مقتل جنديين أمريكيين وآخر بريطاني، فضلاً عن باقي الإصابات.

### إعلان سريع

كان من الملفت هذه المرة، الإعلان الأمريكي السريع عن مقتل جنودهم على غير العادة، إذ أكدوا عبر تصريح من «القيادة المركزية الأمريكية» بأن الذين قتلوا هم من «أفراد الجيش». ويشكل هذا الإعلان إذا ما نظر إليه من زاوية الانتخابات الأمريكية الجارية، ورقة يمكن استثمارها من قبل ترامب في مواجهة بايدن، ليكرر ترامب موقفه المعلن في حملته الأولى، مؤكداً أن الذهاب إلى العراق كان خطأ كبيراً، وهذا ما يخالف بايدين الذي كان من أكبر المباركين والمؤيدين لهذا الخطأ. ويمهد الإعلان عن مقتل الجنود الأمريكيين الطريق أكثر أمام الانسحاب الأمريكي القادم.

### فقرة إعلامية

في ردهم على مقتل جنودهم، قام الأمريكيون في الـ13 من هذا الشهر، بغارات جوية على عدد من المناطق العراقية، وبحسب بيان وزارة الدفاع الأمريكية فإنها شنت «ضربات دفاعية دقيقة» على «خمسة مرافق لتخزين الأسلحة التي تستخدم لاستهداف القوات الأمريكية». في حين أوضح الجيش العراقي عبر بيان له بأن الضربات استهدفت 4 مواقع تابعة لقوات الشرطة والجيش والحشد الشعبي، ومقتل 3 عسكريين عراقيين وشرطيين ومدني واحد بسببها. لتكون بذلك، وبالمعنى العسكري ليست أكثر من دعاية إعلامية لحفظ ماء الوجه، ومن جانب آخر تؤكد عجز واشنطن عن احتمال تصعيد جديد.

### ردود أخرى.. وانسحاب

يدفع الظرف المحيط والضغط الشعبي بالحكومة العراقية لرفض تواجد القوات الأمريكية مجدداً، وبشكل أعلى وأكبر هذه المرة، لتستدعي الخارجية العراقية السفيرين الأمريكي والبريطاني، ومطالبة الأمريكيين

بتنفيذ قرار البرلمان العراقي المتعلق بخروجهم سريعاً. وفي تاريخ 17 آذار الجاري، أرسلت الخارجية العراقية رسالتين إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي تتعلق بالضربة الأمريكية الأخيرة وتواجد قوات أمريكية في البلاد، وقد صرح المتحدث باسم الخارجية العراقية، أحمد الصحاف: «

وصفنا القصف الأمريكي بهذه الشكوى بأنه عمل عدائي، وخرق فاضح لشروط تواجد القوات الأمريكية في العراق». بالتوازي مع هذا النشاط السياسي، استمرت الاستهدافات الميدانية الصاروخية على المعسكرات الأمريكية في العراق، ومن بينها معسكر التاجي نفسه شمالي بغداد ومعسكر بسماية في جنوبها، وباعتراقات رسمية أمريكية أيضاً عن إصابة العديد من جنودهم. لنصل إلى 03/18، حين أعلنت غرفة العمليات المشتركة التابعة لقوى التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، انسحابها من قاعدة القائم الواقعة على الحدود العراقية السورية، وتسليمها للجيش العراقي. وبالتزامن مع خفض القوات، أعلن التحالف الدولي أيضاً في 03/19 عن تعليقه تدريب القوات العراقية بسبب «المخاوف من فيروس كورونا» حسب ما ادعى.

إن هذا الانسحاب الجزئي والرسمي للقوات الأمريكية، الآن، وبعد المواجهات العسكرية بينها وبين القوى العراقية لا يمكن النظر إليه من زاوية الانتخابات فقط، بل هو هزيمة كبيرة لواشنطن على كل المستويات، وليصبح الملف العراقي - بعد أزمة النفط وانهيار البورصة الأمريكية المتسارع، وبالهجمات المتكررة على القوات الأمريكية - عنصراً كبيراً على واشنطن لا مناص لها منه سوى خروجها تماماً، والحلقة الدولية الآن، المليئة بالأبناء والأخبار المتعلقة بالوباء الفيروسي، مناسبة لهكذا تمهيدات وانسحابات «عالمية».



**الانسحاب الجزئي والرسمي للقوات الأمريكية بعد المواجهات العسكرية مع القوى العراقية لا يمكن النظر إليه من زاوية الانتخابات فقط بل هو هزيمة كبيرة لواشنطن على كل المستويات**

### الاستثمار من «كورونا» محلياً

جاء وباء كورونا المستجذ هدية للحكومة العراقية في ظل الاحتجاجات الشعبية الممتدة منذ 5 أشهر، وضرورة تقليص التجمعات للحد من انتشاره بطبيعة الحال، فقد أعلن سريعاً عن حظر تجول في عدد من المحافظات العراقية، ووجه كل من رئيسي الجمهورية والوزراء، برهم صالح وعادل عبد المهدي، طلباً إلى البرلمان لإعلان حالة الطوارئ في البلاد لمدة 30 يوماً قابلة للتمديد، لتتمكن الحكومة، إثر انخفاض التظاهرات الشعبية، بتمرير رئيس وزراء جديد وتكليفه بتشكيل الحكومة المؤقتة.

### كسابقه... مع فارق بسيط

بعد الفشل الحكومي السابق والمكرر عن تشكيل الحكومة، بسبب رفض الحراك الشعبي بشكل أساسي لكل الأسماء المرشحة والمكلفة السابقة، قام الرئيس العراقي برهم صالح بتاريخ 03/17، بتمرير «عدنان الزرقي» رئيساً للحكومة المؤقتة ومكلفاً بتشكيلها، وسط تجاذبات سياسية حادة بين مختلف القوى السياسية العراقية حوله، بين مقاطع ورافض. وبترحيب سريع من الأمم المتحدة والخارجية الأمريكية.

إن الزرقي لا يختلف عن سابقه، ولن يصنع تقدماً بتشكيل الحكومة وسط هذه الظروف الحالية بين مختلف القوى العراقية بانقساماتها وخلافاتها، لكن الجديد حوله هو إعلانه عن التحضير للانتخابات ضمن مدة زمنية قد تطول حتى «سنة واحدة»، فالظرف الجديد الناشئ بالنسبة للحكومة العراقية على أكتاف «كورونا» وهدوء الاحتجاجات، يؤمن لها بعض الوقت من المماطلة في استحقاقاتها أمام الشعب العراقي، استحقاقات لن تكون أدنى من تغيير المنظومة بالكامل.

# دعه يعمل دعه يمرض!



هل يمكن بأي شكل من الأشكال تسمية الإجراءات المتأخرة وعديمة الكفاءة في أوروبا وأمريكا نجاة فيروس كورونا بأنها تقصير ناتج عن سوء معرفة في بلدان تنتج أكثر من سبعين بالمئة من لقاحات العالم؟ أم أن دخول الفيروس كان قراراً واعياً لا بديل عنه بالنسبة لدول تضع الربح فوق صحة مواطنيها، وترى في هذا الوباء العالمي فرصة للتغطية على إجراءات فاسية ضد الطبقات العاملة فيها

## عماد بيضون

تتهم منظمة الصحة العالمية هي الأخرى بالتقصير في رفع درجات التحذير من الفيروس القاتل، المنظمة المتحكم بها غربياً بحكم أنها من مخلفات نظام القبط الواحد تأخرت في التحذير، بل على العكس تواطت مع أنظمة الغرب - أنظمة فليستمر الربح وليذهب الجميع للجحيم - تواطت معها لإخفاء الأثر القاتل للفيروس الذي حذرت منه الصين مبكراً ووصفة الرئيس الصيني بـ «الشیطان».

## مناعة القطيع سلوك تاريخي

لم يتغير تعامل أوروبا مع الفيروس بشكل عام عن العادة، فخلال كل أزمات الفيروسات السابقة مثل «سارس» وأمراض إنفلونزا الطيور والخنازير وغيرها، لم تتخذ القارة الأوروبية أية إجراءات تقييدية، وتأتي الإجراءات بشكل متأخر جداً، مما دفع رئيس لجنة الصليب الأحمر الصيني المندوب للعمل في إيطاليا لانتقاد الإجراءات وعدم التزام الإيطاليين بقواعد الحجر الصحي، وهم يقومون بالحفلات والأنشطة الأخرى بدون قيود! فما هو مصدر هذه العقلية السائدة في أوروبا حتى اللحظة؟

يسود القارة شعور وهمي بقدرة الأنظمة القائمة على السيطرة والتحكم، وهذه الثقة بدأت تهتز بين صفوف مواطنيها الذين باتوا يدركون اليوم أن المنظومة القائمة تسعى لتحقيق الفائدة لأصحاب المليارات، وتستخدم قراراتها في سبيل استمرار تدفق الأرباح وترفع اليوم شعاراً جديداً «دعه يعمل دعه يمرض»!

لا يزال صدى كلمات وزير الصحة الألماني ينس شبان، التي قالها قبل أسبوعين يتردد، فكان شبان يرفض إغلاق حدود البلاد، معتبراً أن هذا الإجراء لن ينجح في منع انتشار كورونا، رافضاً الدعوات بأن تحذو ألمانيا حذو جارتها النمسا وتمنع دخول الزوار من إيطاليا، وأضاف شبان خلال مقابلة مع إذاعة «دويتشلاند فونك» أن نهج ألمانيا الحالي في مواجهة الوباء يتركز على «إبطاء انتشار الفيروس لتقليل العبء على النظام الصحي في البلاد»، وتابع: «الفيروس موجود في ألمانيا.. وإنه في أوروبا. يجب أن نعتاد على هذه الفكرة.. سوف ينتشر حتى لو أغلقت كل الحدود. عاجلاً أم آجلاً علينا السماح للناس بالدخول أو

2008 التي لم تتجاوز بعد عام من الأزمة 1,2 مليون عامل، ويجري اليوم إيقاف العمل مؤقتاً بالكثير من المنشآت الاقتصادية، فتوقفت كل شركات السيارات العاملة في أوروبا في مناطق انتشار الفيروس عن العمل، مثل: شركة فولكس فاغن التي أعلنت التوقف لمدة ثلاثة أسابيع قابلة للتמיד، ومعها شركة فولفو التي سرحت نحو عشرين ألف عامل «بشكل مؤقت»، هذا بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من العمال في «قطاعات الظل» مثل: المطاعم والفنادق، الذين سيضطرون بشدة. هذه الإجراءات ستنتج جيشاً إضافياً من العاطلين عن العمل سيزيدون من نسب البطالة المرتفعة أصلاً في بعض دول أوروبا (مثل: إيطاليا التي تصل النسبة فيها إلى 20%)،

هذه الضربات التي تتلقاها الطبقة العاملة في أوروبا اليوم لن تمر دون عواقب، وإن كان انتشار الجيش في شوارع بعض الدول الأوروبية وفرض حالات الطوارئ ومنع التجول اليوم «كإجراء لمنع انتشار كورونا» يشكل عائقاً أمام احتجاج المتضررين، إلا أنه لن يستطيع الوقوف في وجه السيل القادم. لن يستطيع النظام الرأسمالي القائم بتعويض خسائر الشعوب فهو مشغول بتعويض خسائر الشركات الكبرى... كل ما يجري يؤكد: أن الواقع السياسي في أوروبا سيشهد تغيرات كبرى ولن تنجح الأنظمة بإقناع الجميع بأن فيروس كورونا كان السبب في كل هذا!

المستلزمات الطبية، ولن تستطيع المنظومة الرأسمالية القائمة تأمين الغذاء للملايين الذين اضطروا للحجر الصحي المنزلي، ليصبح اتخاذ قرار لرفع الأوكسجين عن بعض المرضى لإنقاذ غيرهم قراراً عادياً وحكم موت سيصبح مألوفاً في دول «الرفاه» تلك! التي يرى حكامها بالعجز عبئاً لا مبرر لوجوده ولا يرون مشكلة بالتخلص منهم.

## كورونا أقوى في القمع من كل جيوش العالم

«سوف ندخل في الركود»! هكذا قالت المفوضية الأوروبية، وهذا ما يقوله الرئيس الأمريكي، والركود تعريفاً هو الانكماش في الاقتصاد لربعين اقتصاديين متتاليين. ومع جملة المؤشرات التي تؤكد دخولنا في أزمة اقتصادية ذات أسباب أبعد من انتشار الوباء المستجد ستكون أكثر عنفاً من أزمة 2008. بدأت المؤشرات بالظهور، فالشركات تخفض عدد العاملين، وتسريح ملايين العمال سيمكن الشركات من ضبط إنفاقها، ولتتمكن من تسريح هذا العدد الكبير من العمال يجب البحث عن عذر مقنع وهذا ما يؤمنه فيروس كورونا.

فحسب جريدة «زي دوتش زایتونغ» الألمانية، دفعت الأسابيع الأولى لانتشار الفيروس أكثر من 2,3 مليون عامل لتخفيض ساعات عملهم، وهذا يعني تخفيضاً في الأجور، وأضافت الجريدة أن هذا الرقم أكبر بكثير من الأرقام التي تضررت في أزمة

سياسات إنقاذ البنوك وشركات الربا العالمية لم تصنع ما يكفي من غرف العناية المركزة ولن تستطيع المنظومة الرأسمالية القائمة تأمين الغذاء للملايين الذين اضطروا للحجر الصحي المنزلي

الخروج ثم يبدأ الانتشار مرة أخرى». وكان الساسة الإيطاليون من قبلهم لم يتخذوا أية إجراءات لتقييد حركة الناس، بل كان بعض نواب الأحزاب ينشرون صورهم في المطاعم يدعون الناس لعدم الاكتراث بهذا الفيروس معتبرينه «نزلة برد»، لتقر رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين: أن دول الاتحاد الأوروبي ارتكبت أصلاً خطأ في تقييمها لخطورة فيروس كورونا!

## استراتيجيات فاشلة

تسقط أوروبا اليوم أمام هذا الوباء وتهتز الأنظمة السياسية فيها، فهي التي تتحمل مسؤولية هذه الجريمة التي ارتكبت بحق شعوب القارة، وتراجع اليوم لتعترف بعد انهيار أنظمتها الصحية بأن النموذج الصيني هو الشكل الأمثل لمجابهة الفيروس. الأمور خرجت عن السيطرة في إيطاليا تسجل نسبة وفيات أكثر من 8% من مجمل الإصابات بمقابل الصين التي كانت نسبة الوفيات فيها بحدود 3% وهذا يدل على الفرق الجوهري بين متانة المنظومة الصحية في الصين بمقابل المنظومة الأوروبية.

اليوم اقتنعت القارة أنها مريضة لكن ليس بـ «كورونا» بل بالوهم! بوهم «الرفاه الاجتماعي»، وتبدد هذا الوهم ليجد مواطنو تلك البلدان أن سنوات التيسير الكمي وإنقاذ البنوك وشركات الربا العالمية لم تصنع لهم ما يكفيهم من غرف العناية المركزة، ولا من

انتشار الجيش في شوارع بعض الدول الأوروبية وفرض حالات الطوارئ «كإجراء لمنع انتشار كورونا» يشكل عائقاً أمام احتجاج المتضررين إلا أنه لن يستطيع الوقوف في وجه السيل القادم!

## الصورة عالمياً

## «عقوبات واشنطن» رصاصاً على أقدامها



• رفع 600 طبيب  
فرنسي دعوى  
قضائية ضد  
رئيس وزراء  
البلاد، إدوار  
فيليب، ووزيرة  
الصحة السابقة،  
أغنيس بوزين، بتهمة  
تقصيرهما في اتخاذ تدابير لمكافحة  
فيروس كورونا في الوقت المناسب.

• عرض الرئيس الصيني  
شي جين بينغ  
المساعدة على  
ألمانيا وقال  
في رسالة  
وجهها  
لأنجيلا ميركل:  
إن أزمة الصحة  
العامة تمثل تحدياً  
مشتركاً للبشرية، وإن التضامن والتعاون  
هما أقوى سلاح للتعامل معها.

• وقع الرئيس  
الروسي،  
فلاديمير  
بوتين، يوم  
السبت 21 آذار،  
مرسوماً بمنح وزير  
الخارجية الروسي،  
سيرغي لافروف، لقب «بطل العمل» وذلك  
بسبب خدماته الخاصة للدولة والشعب.

• أعلنت وزارة الدفاع  
الروسية، يوم  
الأحد 22 آذار،  
أن سلاح  
الجو الروسي  
قام بتجهيز  
9 طائرات  
محملة  
بالمساعدات و100  
أخصائي في علم الأوبئة لمكافحة فيروس  
«كورونا» في إيطاليا.

• رفض الكرملين وصف  
ما يجري في أسواق  
النفط حالياً  
بأنها «حرب  
أسعار» بين  
السعودية  
وروسيا، ووصف  
العلاقات بين  
البلدين بأنها «شراكة  
وثيقة»، داعياً إلى عدم تدخل أطراف أخرى  
بينهما.

• أقرت رئيسة  
المفوضية  
الأوروبية  
أورسولا فون  
دير لاين، بأن  
دول الاتحاد  
الأوروبي ارتكبت  
أصلاً خطأ في تقييمها لخطورة فيروس  
كورونا المستجد «كوفيد-19».

تثبت الولايات المتحدة الأمريكية «لا إنسانيتها» جديداً، عبر قرارات أقل ما يقال عنها أنها استفزازية وتشكل خطراً على البشرية، ففي ظل ما يعانيه العالم اليوم من انتشار سريع لفيروس كورونا، وما أحدثه هذا الوباء من نتائج كارثية على الصعيد الإنساني والاقتصادي في مختلف الدول، تستمر واشنطن بسلوها العنجهي تجاه البلدان التي تتمرّد عليها، فتضيق الحصار عليها أكثر عبر العقوبات، أو بالحد الأدنى ترفض مساعدتها في التصدي للفيروس.

## رشا النجار

لعبت العقوبات الأمريكية دائماً دوراً معرقلاً لتظهير التوازن الدولي الجديد، وترى فيها واشنطن اليوم سلاحاً لا يمكن الاستغناء عنه حتى لو تسبب ذلك بمنع الإمدادات الطبية الضرورية التي تحتاجها جميع دول العالم اليوم.

## إيران... (فوق الموت عصّة قبر)

بالتزامن مع انتشار فيروس كورونا في إيران ووصول عدد المصابين فيها إلى ما يقارب الـ 20 ألف شخص حتى كتابة هذه السطور، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بفرض مجموعة من العقوبات استهدفت فيها عدداً من الشركات في الإمارات والصين وجنوب إفريقيا، واستهدفت في حزمة عقوبات جديدة قطاع البتروكيماويات الإيرانية، وبناءً عليه اتهمت إيران على لسان رئيسها حسن روحاني إدارة ترامب بـ «مناصرة» فيروس كورونا، فيما دعت روسيا الولايات المتحدة إلى رفع عقوباتها عن إيران فوراً، مؤكدة أن «زمن الوباء العالمي ليس مناسباً لتصفية الحسابات الجيوسياسية، وخاصة أن لا أساس لهذه العقوبات، بل مفتعلة من قبل واشنطن بهدف تلبية طموحاتها».

وعلى الرغم من أن سياسة العقوبات الأمريكية المتبعة ضد إيران وروسيا والصين وغيرها قد وُحِدَت صفوف هذه الدول، وعزّزت التعاون الاقتصادي بينها،

«زمن الوباء العالمي ليس مناسباً لتصفية الحسابات الجيوسياسية وخاصة أن لا أساس لهذه العقوبات، بل مفتعلة من قبل واشنطن بهدف تلبية طموحاتها».

وجعلتهم يبحثون عن بدائل جديّة في الوقت الذي ازدادت به العزلة الأمريكية عن العالم، إلا أنه لا يمكن نكران حقيقة ما أصابته هذه العقوبات من شلل في الحركة التجارية ومن تراجع ولو مؤقت في اقتصادات البلاد المعنية، ولا سيما إيران التي طالتها أكثر من مئة حزمة من العقوبات منذ عامين. وقد كان للعقوبات الأخيرة تأثير كبير على الأزمة «الفيروسية» الجديدة، فقد قال وزير الصحة الإيراني سعيد نمكي بأن: «طهران اشترت عدة ملايين من الكمادات من بريطانيا لكنها امتنعت عن تسليمها بسبب العقوبات المفروضة على بلاده». وللمفارقة فقد قامت الصين في وقت سابق بإرسال شحنة طبية تضم 23 مليون كمادة و2 مليون بدلة وقائية و10 آلاف جهاز لقياس درجة الحرارة.

## لماذا تفعل أمريكا كل هذا؟

تحاول الولايات المتحدة اليوم إبقاء الأمور على ما هي عليه في العالم، لا بل تحاول سحب البشرية إلى الوراء إن أمكن! وتنتسى واشنطن بذلك أن الدول التي تضيق عليها الخناق أصبح أمامها أفق واسع، فتلعب الصين اليوم دوراً لن يكون من السهل نسيانه لأجيال قادمة، فهي تقدم مثلاً على التعاون العالمي في زمن الأزمات بعيداً عن الحسابات السياسية الضيقة، وتستطيع بكين اليوم احتضان أيتام واشنطن وتقدم لهم يد المعونة. ما يجري اليوم ما هو إلا رصاصاً تطلقها واشنطن على أقدامها، فهي تدفع دول العالم للابتعاد عنها وبناء علاقات عالمية جديدة لن تلعب فيها واشنطن وبنكها الدولي دوراً محورياً كما كانت.

جعلتهم يبحثون عن بدائل جديّة في الوقت الذي ازدادت به العزلة الأمريكية عن العالم، إلا أنه لا يمكن نكران حقيقة ما أصابته هذه العقوبات من شلل في الحركة التجارية ومن تراجع ولو مؤقت في اقتصادات البلاد المعنية، ولا سيما إيران التي طالتها أكثر من مئة حزمة من العقوبات منذ عامين. وقد كان للعقوبات الأخيرة تأثير كبير على الأزمة «الفيروسية» الجديدة، فقد قال وزير الصحة الإيراني سعيد نمكي بأن: «طهران اشترت عدة ملايين من الكمادات من بريطانيا لكنها امتنعت عن تسليمها بسبب العقوبات المفروضة على بلاده». وللمفارقة فقد قامت الصين في وقت سابق بإرسال شحنة طبية تضم 23 مليون كمادة و2 مليون بدلة وقائية و10 آلاف جهاز لقياس درجة الحرارة.

## صندوق النقد وازدواجية المعايير

أعلن صندوق النقد الدولي في الخامس من الشهر الحالي نيته مساعدة البلدان منخفضة الدخل في التصدي لفيروس كورونا، ورسده مساعدات بقيمة 50 مليار دولار، وفي ظل الصراع الشرس مع الفيروس سريع الانتشار، اضطرت فنزويلا لطلب المساعدة من صندوق النقد بقيمة 5 مليار دولار، وكانت المفاجأة بأن قوبل طلبها بالرفض، وقد علق ممثل الصندوق على قرار منظمته، بالقول: «تفاعل صندوق النقد الدولي مع البلدان يحكمه اعتراف المجتمع الدولي

# كوبا وأمريكا: من



في إطلاق الفيروس. نفت وزارة الخارجية الأمريكية ذلك، رغم أن تحقيقات الكوبيين ادعت بوجود أدلة على أن الوباء قد أتى من الولايات المتحدة.

سمحت وزارة الصحة العامة الكوبية باستخدام الإنترفيرون الكوبي لإيقاف انتشار الضئك، وقد حدث ذلك بسرعة هائلة. انخفض معدل الوفيات، وكما كتب عالما الطب الكوبيان كاييرو تورييس ولوبيز ماتيا في مذكراتهما: «لقد كان أكثر حدث مكثف استخدم فيه الإنترفيرون كمنع وعلاج في العالم». بدأت كوبا بعدها بعقد الندوات التي استرعت على الفور الاهتمام العالمي. كان الحدث الدولي الأول عام 1983 مرموقاً: كانت ألقى كلمة الافتتاح وحضر كلارك بصحبة ألبرت بروس ساين، العالم البولندي الأمريكي الذي طوّر لقاح شلل الأطفال الفموي.

بعد أن اقتنعت الحكومة الكوبية بالمساهمة والأهمية الإستراتيجية للعلوم الطبية المبتكرة، أنشأت «الجهة البيولوجية» في عام 1981 لتطوير هذا المجال. سافر العلماء الكوبيون حول العالم للدراسة، والكثير منهم في دول غربية. اتخذت أبحاثهم مسارات أكثر إبداعاً حيث اختبروا استنساخ الإنترفيرون. بحلول الوقت الذي عاد فيه كانتل إلى كوبا في عام 1986، كان الكوبيون قد طوروا المؤلف البشري إنترفيرون ألفا 2 بي الذي نفع آلاف الكوبيين منذ ذلك الحين. ثم استثمرت الدولة الكوبية من جديد في المجال وافتتحت التحفة الكوبية: «مركز التقانة الحيوية والهندسة الجينية CIGB» في عام 1986. في ذلك الوقت كانت كوبا قد غرقت في أزمة صحية جديدة، انتشار خطير لمرض التهاب السحايا الفلحة بي «Meningitis B»، الأمر الذي حفز من جديد تطوير قطاع التقانة الحيوية الكوبي.

في عام 1976 ضرب التهاب السحايا بي

جين ليندنمان وأليك إيزاك في لندن عام 1957. في الستينات قام إيون غريس، باحث أمريكي في باريس، بإظهار أن الإنترفيرون يحفز الخلايا الليمفاوية التي قامت بمهاجمة الأورام لدى الفئران. في السبعينات قام اختصاصي الأورام الأمريكي راندولف كلارك بتكثيف هذه الأبحاث.

وعلى خلفية تحسين الرئيس الأمريكي كارتر العلاقات مع كوبا، قام الدكتور كلارك بزيارة كوبا والتقى فيديل كاسترو وأقنعه بأن الإنترفيرون هو الدواء العجائبي. بعد ذلك بوقت قصير أوفدت كوبا طبيباً مختصاً بأمراض الدم إلى مختبر الدكتور كلارك وقضى وقتاً هناك، وعاد بعدها وقد اطلع على آخر الأبحاث حول الإنترفيرون. ثم في آذار 1981 مضى ستة أطباء كوبيين إلى فنلندا ليقضوا اثني عشر يوماً بصحبة الطبيب الفنلندي كاري كانتل، وهو الشخص الذي قام في السبعينات بعزل الإنترفيرون من الخلايا البشرية ورفض تسجيل إنجازه كبراءة اختراع ليتيح مشاركة المعرفة مع جميع المهتمين. تعلم الكوبيون منه إنتاج كميات ضخمة من الإنترفيرون.

ثم خلال 45 يوماً من عودتهم إلى كوبا، أنتجوا أول دفعة من الإنترفيرون الكوبي، وهي الدفعة التي تمت المصادقة عليها من قبل مختبر كانتل في فنلندا. وكما تبين، فقد كان الأمر في وقته تماماً. فبعد عدة أسابيع من ذلك، ضرب وباء حمى الضئك كوبا، وهو المرض الذي يقوم البعوض بنشره. كانت تلك هي المرة الأولى التي تظهر فيها هذه السلالة الساحلية، والقادرة على التسبب بحمى الضئك النزفي القاتلة، في الأمريكيتين. أصاب المرض 340 ألف كوبي بمعدل 11 ألف حالة جديدة يومياً في ذروة الوباء. توفي 180 شخصاً، ومن بينهم 101 طفل. شكك الكوبيون في أن للمخبرات المركزية الأمريكية يداً

بين تطوير تكنولوجيا تخدم البشرية، وأخرى تجلب الوبال عليها، يكمن فارق جوهري يصنعه في العمق النظام الاجتماعي-الاقتصادي المؤدي للقرار السياسي المتخذ للبدء بعملية التطوير. فاية عملية تطوير تقانية ستخضع لذات الشروط الموضوعية لتحقيقها حتى تتم هدفها بنجاح، من توفير التمويل اللازم والكادر الفني المؤهل والمنشآت الملائمة وخلافه. لكن الهدف يختلف بين ذلك الذي ينشده نظام اجتماعي-اقتصادي ثوري، كما هي حالة مثالنا في هذا المقال: الإنترفيرون المصنّع في كوبا، وهو التخفيف من معاناة البشر وتحقيق رفاههم، وهو ما نشهده بشكل عملي اليوم في مقاومة فيروس كورونا المنتشر رغم الحصار الأمريكي المستمر على كوبا. والهدف الذي ينشده نظام رأسمالي ربحي كالموجود في الولايات المتحدة والساعي في مثالنا لتطوير بعوض يحمل فيروسات خطيرة قد يستخدم كسلاح بيولوجي أو بأحسن أحواله قد يصبح خارج السيطرة ويهلك منا نحن الأبرياء ذريعات لا تدخل في حساب الشركات. الفارق بين النظامين واضح لمن يتبصر.

## ■ هيلين ياهه وكاي كوبر شميدت تريب وإعداد: عروة درويش

### قصة الإنترفيرون وكوبا الثورة

منذ انتشار فيروس كورونا «COVID-19» في مدينة ووهان الصينية في أواخر كانون الأول 2019، بدأت الدولة الصينية باتخاذ كافة الإجراءات لمكافحة انتشاره ورعاية من أصيبوا به. ومن بين مجموعة من ثلاثين دواء اختارتها هيئة الصحة الوطنية الصينية لمكافحة الفيروس، كان الدواء الكوبي المضاد للفيروسات حاضرًا: «Interferon 2b Alpha إنترفيرون ألفا 2 بي». ينتج هذا الدواء في الصين منذ عام 2003 من قبل الشركة الكوبية-الصينية المشتركة «ChangHeber».

أثبت إنترفيرون ألفا 2 بي فاعليته على الفيروسات التي لها سمات مشابهة لفيروس كورونا. شرح اختصاصي التقانة الحيوية الكوبي الدكتور لويس هيريرا مارتيز الأمر: «استخدامه يمنع التكاثر والمضاعفات لدى المريض، الأمر الذي يوصله للمرحلة التي ينجم عنها الموت». طورت كوبا الإنترفيرون واستخدمته أول مرة لاحتواء انتشار مميت لفيروس حمى الضئك في عام 1981، وحفزت تلك التجربة تطوير ما بات اليوم صناعة تقانة حيوية رائدة على مستوى العالم.

«جينتكت Gentech» هو أول مختبر تكنولوجيا حيوية على مستوى العالم، وقد أنشئ في سان فرانسيسكو في 1976، وتبعه «AMGen» في لوس أنجلوس في 1980. بعد عام من ذلك تم إنشاء «الجهة البيولوجية Biological Front»، وهي منصة متعددة الاختصاصات المهنية تهدف لتطوير هذا المجال في كوبا. وفي الوقت الذي لم يكن فيه لدى أغلب الدول النامية سوى القليل من قدرة الوصول إلى التكنولوجيا الحديثة «الصبغي النووي المشكّل وعلاج الجين البشري والسلامة البيولوجية»، استطاعت التقانة الحيوية الكوبية أن تتوسع وتأخذ دوراً إستراتيجياً متزايداً في كلا قطاعي الصحة العامة وخطط التنمية الاقتصادية الوطنية. وقد فعلت كل هذا بالرغم من الحصار الاقتصادي الأمريكي الذي أعاق وصولها إلى التكنولوجيا والمعدات والمواد والتمويل وحتى لتبادل المعارف. كانت مدفوعة من مطالب الصحة العامة، وهذا ما جعلها تمضي بطريق سريع من الأبحاث والابتكار إلى التجربة والتطبيق، وهذا ما تزويده لنا قصة الإنترفيرون الكوبي.

الإنترفيرون هي بروتينات «إشارية» تنتج وتطلق عبر الخلايا كرد على العدوى التي تحفز الخلايا القريبة لرفع سوية دفاعاتها المضادة للفيروسات. أول من اكتشفها هو

تنص معاهدة  
الاسلحة البيولوجية  
على الحظر الشديد  
لتطوير أي معاملات

# يشفي العالم ومن يقتله؟

«لم يجيبنا أحد عن هذه الأسئلة عندما سألناهم عن المبرر».

عَلَّقَ اختصاصي البيولوجيا التطورية غاي ريفز من معهد ماكس بلانك في ألمانيا على الأمر: «لا تحتاج إلى أكثر من 30 ثانية وقليلًا من التخيل لتدرك ما يمكن فعله بفيروسات معدلة وراثياً، وتحديدًا إن كانت هذه الفيروسات لديها القدرة على الخروج إلى الطبيعة، إلى أنواع محددة والتغير جينياً». عَلَّقَ نيكولاس إيفانز اختصاصي الأخلاقيات الحيوية من جامعة ماساشوستس على الأمر بأن الوكالة الأمريكية قد لا تكون تخرق معاهدة حظر الأسلحة البيولوجية تبعاً لأن «نيتها المعلنة» سلمية. لكنه يتساءل عما سيحدث في حال حصول «طرف آخر شرير» على هذه الحشرات؟ أو ما هي السابقة التي تسجلها الولايات المتحدة بهذا الصدد، والإشارة التي ترسلها إلى دول أخرى تسعى لتطوير سلاح بيولوجي إن ادعت بأن أبحاثها ذات هدف سلمي أيضاً؟

يدافع بيكستين عن المشروع بالقول: بأن من يريد صنع سلاح بيولوجي لن يعلن للجامعات كي تقدم طلباتها للمشاركة في البرنامج، وأعلن بأن جميع التكنولوجيا المتقدمة هي عرضة لسوء الاستخدام. وقد ردت عليه فونكي بالقول: «هذا لا يغير من حقيقة أن هذا المشروع يخرق قواعد معاهدة حظر الأسلحة البيولوجية».

يقول وين كورتيز، وهو أحد العاملين في مشروع تطوير الحشرات الحليفة، بأن المشروع سيطور فهماً لكيفية التفاعل بين الفيروسات وحشرات النباتات، وسيساعد على تطوير إستراتيجيات حماية محاصيل جديدة. ويؤكد بأن مقدار الخطر المحتمل صغير بالمقارنة مع التقدم العلمي الذي سيسهل البرنامج الوصول إليه.

## تدمير العالم مجرد أعراض جانبية

المسألة الهامة يمكن تلمسها بشكل ملائم من خلال صوغ إيفانز: «من الذي قرر بأن مقدار الخطر المحتمل صغير، وعلى ماذا بنى تقديراته؟ لماذا يصير البرنامج على تطوير شيء لن تكون له قيمة استعمالية حقيقية، بينما سيفتح الباب لمخاطر رهيبية على الصحة والأمن؟».

ربما ما قاله ريفز سيساعدنا على فهم طبيعة الأمر أكثر: «رفضت وكالة مشاريع تطوير أبحاث الدفاع الأمريكية تمويل أكثر من مشروع تطوير تقانات الجبل الثاني من رش المواد الزراعية الجوي، وما كانت أبداً لتتفق المال على ذلك رغم أهميته البالغة، فلماذا الموافقة على المضي في مثل هذا المشروع عالي التقنية المرتبط باحتمال خطر مرتفع جداً؟ عندما ننظر للصورة بشكل أعم، وإلى المعطيات التي لدينا، لا تبدو الأسباب التي يمنحونها مقنعة لتبرير احتمال الانخراط في شيء بمثل هذا الخطر... يبدو كل ما يقولونه مثل مزحة مسجحة».

ربما علينا أن نخشى نجاح تطوير هذه الحشرة ومثيلاتها من المشاريع التي تهدف لتقليل التكاليف وتعظيم الربح أكثر مما نخشى الأسلحة التقليدية. ربما علينا أن نذكر على سبيل المثال «الهروب» الغريب لفيروس الحمى القلاعية مرتين من معهد بيربرايت البريطاني للتقانة الحيوية، أحد أكثر المعامل البيولوجية تحصيماً في العالم. يومها قتل الفيروس كامل ماشية المزارعين المحليين، مما أدى وبشكل غريب في حينه للسماح للشركات الزراعية الكبرى بالاستيلاء على قطاع الزراعة البريطاني.



بسهولة من «جهة ما» لنشر الأمراض في أي نوع محصول تعتبره هذه الجهة عدواً لها. كما أن هذا البحث يُعد خرقاً لبنود معاهدة منع انتشار الأسلحة البيولوجية «BWC».

يثير هذا الأمر الكثير من القلق، سواء من ناحية القدرة على استخدامه لأغراض شريرة، أو لإمكانية فقدان السيطرة على تأثيراته بما قد يعنيه ذلك من كوارث. ومن الأمثلة الحديثة الأخرى التي يمكن سوقها عملية خلق أنفلونزا متحولة قادرة على الانتشار في الثدييات، والخلق الاصطناعي لفيروس جدري الخيل المنقرض، وهو ابن عم الفيروس الذي يسبب جدري الماء. إن هذه الحشرات الحليفة، والممولة من وكالة مشاريع تطوير أبحاث الدفاع الأمريكية «DARPA» في أرلينغتون، هدفها المعلن أن تُستخدم كحشرات من أو ذباب أبيض لتنتشر فيروساً على المقاس في المزروعات. الهدف من ذلك كما أعلنت الوكالة هو إيجاد طرق جديدة لحماية النباتات التي تنمو في الحقول من التهديدات الناشئة. وكما يقول مدير المشروع بليك بيكستين، فالأمر أسهل من تطوير أنواع محاصيل مختلفة في المختبرات، وسيوفر أموالاً كثيرة على الشركات الراغبة بالاستثمار فيه.

وبالعودة إلى مسألة منع الأسلحة البيولوجية، تنص المعاهدة على الحظر الشديد لتطوير أي معاملات بيولوجية لا تبرير وقائي أو حمائي أو غيرها من الأهداف السلمية. وكما تقول سيليا فونكي، الباحثة القانونية من جامعة فرايبورغ الألمانية: إيجاد مثل هذا المبرر صعب هنا تبعاً لعدم القدرة على السيطرة عليه. كما أن هذا المبرر يبدو مستحيلاً إذا ما أخذنا بالاعتبار وجود طريقة أسهل وأزهد ثمناً لتستخدم هذه الفيروسات للأغراض السلمية: الرش. وكما قالت فونكي:

الجزئية وهو يشير بإصبعه إلى رسم بياني لارتفاع وهبوط معدل حالات الإصابة بالتهاب السحايا فئة بي في كوبا: «أخبر زملائي دوماً بأن المرء قد يعمل ثلاثين عاماً بمعدل أربع عشرة ساعة يومياً ليستمتع بالنظر إلى رسم بياني مثل هذا يستغرقه عشر دقائق. لقد بدأنا التقانة الحيوية لهذا السبب، ثم بدأت الإمكانيات تتطور وفتحت الباب لتتحول إلى صناعة تصديرية. التقانة الحيوية الكوبية تصدر اليوم إلى أكثر من خمسين دولة».

لطالما أثبت الإنترفيرون الكوبي فاعليته وأمانه في علاج الأمراض الفيروسية، بما في ذلك التهاب الكبد الوبائي بي وسي والقوباء المنطقية والإيدز والذئبة. ولأنه يتدخل بالتكاثر الفيروسي داخل الخلايا، فهو يستخدم أيضاً في علاج حالات متنوعة من السرطانات. علينا أن نرقب ونرى إن كان الإنترفيرون 2 بي سيثبت كونه دواء معجزة من جديد مع فيروس كورونا. الإنترفيرون الكوبي استطاع أن يثبت بأن الثورة الكوبية أقوى بكثير من سجانها الأمريكي.

## صناعة حشرة بهدف نشر الفيروسات!

سيبدو ما سنقول، رغم واقعيته، وكأنه فلم خيال علمي رديء: برنامج بحثي ممول من حكومة الولايات المتحدة يهدف لخلق حشرات تحمل فيروسات لتلقحها بأعداد هائلة، وذلك بغية مساعدة المحاصيل على مقاومة مخاطر الحشرات أو الجفاف أو التلوث. تم إطلاق «الحشرات الحليفة»، وهو الاسم الذي يحمله المشروع بكلفة 45 مليون دولار، في عام 2016 بشيء من السرية. لكن عدداً من الباحثين أطلقوا تحذيراتهم بشأن المشروع راسمين له سيناريو أكثر قتامة. فهذا البرنامج حال نجاحه، قد يُستخدم

وسي كوبا. منذ عام 1916 لم تشهد البلاد سوى بضع حالات معزولة. وعلى الصعيد الدولي، كانت اللقاحات متوفرة لالتهاب السحايا من الفئة أ والفئة سي، لكن ليس للفئة بي. استطاعت السلطات الكوبية تأمين لقاح الفئة سي عبر شركة دوائية فرنسية لمنع انتشاره. لكن في الأعوام التالية بدأ عدد حالات الإصابة بالتهاب السحايا فئة بي بالارتفاع. تم إنشاء فريق من الاختصاصيين من عدة مراكز طبية بقيادة اختصاصية التقانة الحيوية كونسيبيون كامبا، للعمل بشكل مكثف لإيجاد لقاح. تم بحلول عام 1984 بات التهاب السحايا فئة بي المشكلة الصحية الرئيسية في كوبا. بعد ستة أعوام من العمل المكثف، استطاع فريق كامبا أن ينتج أول لقاح لالتهاب السحايا فئة بي في العالم في عام 1988.

## رفاه الشعوب وكيفية تحقيقه

يتذكر أحد أعضاء الفريق: الدكتور غوستافو سييرا الفرحة قائلاً: «كانت تلك هي اللحظة التي أمكننا فيها القول بأننا قد نجحنا، وقد نجح الدواء في أسوأ الظروف، تحت ضغط الوباء وعلى الفئة التي كانت في أمس الحاجة إليه». خلال عامي 1989 و1990 تم تلقيح ثلاثة ملايين كوبي كانوا في أشد حالات الخطر. ثم حصل 250 ألف يافع على لقاح «VA-MENGOC-BC» وهو مزيج من لقاح التهاب السحايا فئتي بي وسي. سجل فاعلية بنسبة 95% بشكل كلي، و97% لدى الفئة العمرية الأشد خطراً الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة أشهر إلى ستة أعوام. منحت الأمم المتحدة لكوبا جائزة الابتكار العالمية على لقاح التهاب السحايا فئة بي. لقد كانت معجزة كوبا.

قال أوغستين لاغ، مدير مركز المناعة

لا تحتاج إلى أكثر من 30 ثانية وقليلًا من التخيل لتدرك ما يمكن فعله بفيروسات معدلة وراثياً

# السكان عبر آلاف السنين وأزمة الرأسمالية



إن تتبع نمو حركة السكان خلال التاريخ البشري مترابط شديد الترابط مع الصراع الاجتماعي والانتقال من نظام إنتاجي إلى آخر، وهذا التتبع يعطينا ملامح عن الفروق النوعية بين هذه الأنظمة أيضاً. وحركة نمو السكان التاريخية، ونسبة هذا النمو، في ارتفاعها وانخفاضها على السواء، تعطينا صورة حية عن مراحل الانتقال من تشكيلة اقتصادية-اجتماعية إلى أخرى، أي الأزمات العامة التي تعصف بأنظمة الإنتاج التاريخية، وتعطينا كذلك صورة عن الأزمات الدورية داخل كل نظام منها. أما اليوم، أين هي هذه الحركة، وما هو أفق تطورها؟ وكيف تدعم التصور القائل بأزمة الرأسمالية العميقة والعامة؟ باختصار، كيف تمثل حركة السكان التاريخية التعبير الواضح عن التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج، وعن السياسات المالتوسية للرأسمالية راهناً؟

■ محمد المعوش

## التسارع التاريخي بشكل عام

يعيش اليوم على الأرض حوالي 7,7 مليار إنسان. ولكن خلال مئتي ألف عام مضت تطورت حركة نمو السكان ونسبتها بشكل نوعي. وكانت كل قفزة في نمو السكان ترتبط بتطور القوى المنتجة الذي أتاحه الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر. فالأرقام الممونة تقول بأن عدد السكان حافظ على رقم ما دون الـ10 مليون إنسان خلال بداية مرحلة العبودية (منذ الـ10 آلاف سنة قبل الميلاد التي قدرت فيها بـ4 مليون فقط)، وصار في مرحلة الانتقال إلى الإقطاعية حوالي الـ225 مليوناً، واستقرت هذه النسبة طوال مراحل أفول العبودية تقريباً. ومن ثم تضاعفت في مرحلة الإقطاع (من القرن السابع) لتصل إلى حوالي 475 مليوناً ما بين عام 1315 و1351. وكانت أزمة النظام الإقطاعي، ربطاً بالمجاعات والطاعون مثلاً في أوروبا، قد خفضت هذا العدد بشكل كبير، لتصل نسبة السكان في عام 1400 إلى حوالي 390 مليوناً. هذه الانخفاض عبر عن تعقد البنية الإقطاعية في أوروبا مثلاً أكثر من مرحلة العبودية، فالتأثير الكبير لوباء كاطاعون مثلاً جاء نتيجة خط التجارة بين آسيا وأوروبا «حيث اعتبر أن الطاعون انتقل من آسيا إلى أوروبا عبر خطوط التجارة تلك»، وفي مراحل الرأسمالية المبكرة وحتى أعوام 1800 زادت هذه النسبة إلى المليار، أي تضاعفت حوالي المراتين ونصف المرة تقريباً.

فالبشرية تطلبت إذاً حوالي 200 ألف عام لتبلغ المليار الأولى، بينما زيادة الـ6,7 مليار الأخرى فقد حصلت خلال الـ200 عام الأخيرة فقط! أي بنسبة تسارع تاريخي في النمو بلغ حوالي الـ1000 بين الرأسمالية وكل التشكيلات السابقة. هذا التسارع مرده التطور الهائل الذي حصل للقوى المنتجة خلال المرحلة الرأسمالية، ومنذ العام 1800 تحديداً، أي مرحلة نضوج السوق العالمية للرأسمالية وتوسعها، هذا التطور الذي شدد عليه ماركس.

وهذا التسارع حصل ضمن التطور في البنية الرأسمالية نفسها أيضاً. فالمليار الثاني تطلب الوصول إليه حوالي 124 سنة من العام 1803 وحتى العام 1927. بينما المليار الثالث تطلب فقط 33 سنة (عام 1960)، أما المليار الرابع تطلب فقط 15 عاماً (عام 1975)، والخامس

تطلب 12 عاماً (1987)، والمليار السادس والسابع تطلبا أيضاً 12 عاماً لكل منهما (1999 و2011 على التوالي).

## الصراع ضمن الرأسمالية وضغط القوى المنتجة

كما نرى، إن المرحلة الممتدة من عام 1800 وحتى عام 1927 (127 عاماً)، أي مرحلة التوسع الرأسمالي، دفعت بتطور القوى المنتجة ومنها القوى البشرية بشكل كبير جداً نسبة لما قبل الرأسمالية. ولكن منذ الـ1927 تسارع هذا التطور حوالي الـ4 أضعاف. وهذا مرده إلى ظهور الاشتراكية على مسرح التاريخ. والمؤشر المباشر هو تطور عدد سكان روسيا والصين مقارنة بأوروبا مثلاً وباقى دول العالم. فروسيا زادت نسبة السكان 50 مليوناً تقريباً من حوالي 95 مليوناً (1927) عام إنهاء الحرب الأهلية الروسية بعد الثورة البلشفية) إلى حوالي 145 مليوناً (عام انهيار الاتحاد السوفيتي) أخذاً بعين الاعتبار خسائر الحرب العالمية الثانية، بينما زادت الصين منذ العام 1949 (عام تأسيس الصين الشعبية) من 546 مليوناً إلى مليار تقريباً قبل بدء تطبيق «سياسة الإصلاح والانفتاح» فقط، أي في الثمانينات من القرن العشرين. أي تطور بلغ الضعف خلال عقدين تقريباً «بينما تطلب الصين قبل الاشتراكية حوالي الـ150 عاماً لتزيد 200 مليوناً فقط». بينما على المقلب الآخر، لم تضاعف أوروبا عدد سكانها خلال تلك الفترة «حوالي 500 مليون في أواخر العشرينات، وحوالي 720 في التسعينات». ولكن إذا ما أخذنا نسبة السكان في آسيا مثلاً تحت تأثير

تطور القوى المنتجة عالمياً لم يكن ليحصل لولا تبلور النقيض الاشتراكي. فجدلية الصراع والوحدة أساس لفهم تطور كلا النقيضين. وإذا ما استبعدنا أيضاً مسألة التحول الثقافي في نط الحياة الذي أضعف الدور النفسي والمعنوي لفكرة الإنجاب لدى الكثيرين، إلا أن هذا ليس هو المؤشر الأبرز على التراجع الكبير في نسبة النمو السكاني.

## تجاوز الأزمة، وما بعد كورونا؟

إن احتمالات تجاوز الأزمة العالمية للرأسمالية، تحافظ على الوجود البشري من فئائه التدريجي والمحتوم، وتفتح أفق قفزة جديدة للقوى المنتجة، ربما هذه المرة ليس بتطور كبير في عدد السكان المرتبط تاريخياً بالحاجة للطبقة العاملة اليدوية كأساس في نظام العمل المأجور الذي تعودنا عليه، بل ربما سيتعاطم دور التكنولوجيا، ليخلق ذلك توازناً مداراً بين الحفاظ على النوع «الذي سيلعب العلم دوراً بارزاً في ذلك» وبين العمل الذهني الأكثر حضوراً. ولا تزال آسيا تحديداً الخزان البشري الأكبر لهذا النهوض إنتاجياً وعلمياً، فهي تحتضن أكثر من 60% من سكان العالم. هذا التحضر يمكن أن يحصل في ظل نظام اقتصادي اجتماعي يحرق هذه القوى المنتجة، ويعظم من دورها التاريخي في عملية التطور، لا كقوى منتجة عاملة يدوية فقط، بل ترتقي مساهمتها العلمية عبر فتح المجال لعملها الذهني، وتطوير دور العلوم، ودورها السياسي المباشر في إدارة حياتها ومصيرها، عبر تحقيق اشتراكية القرن الحادي والعشرين.

الثورات الاشتراكية فهي تضاعفت، في تلك الفترة، ثلاث مرات تقريباً من مليار واحد إلى 3 مليار. وهذا النمو لم يكن ليحصل لولا تحرر القوى المنتجة نسبياً وضمن مرحلة تاريخية محددة من كبح علاقات الإنتاج. حيث وصل هذا النمو ذروته عالمياً بين 1960 و1970 حيث وصلت النسبة عالمياً إلى الـ2,1%. وبدأت بعدها هذه النسبة بالتراجع إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأزمات التي بدأت تعصف بالتجارب التقدمية والاشتراكية عالمياً، وتقدم قوى رأس المال. لتصل هذه النسبة اليوم إلى حوالي الـ1% فقط. وهذه النسبة مرشحة للانخفاض، تحقيقاً للمالتوسية الجديدة عبر الأمراض والأوبئة والجوع والحروب والفقر والكوارث الطبيعية، وتعبيراً عن تدمير الرأسمالية لقوة العمل عبر تداخل ضرب البنية العقلية-الجسدية للإنسان.

## عودة إلى أزمة التشكيلة

يمكن القول اليوم، أن هذا الانخفاض في نسبة النمو السكاني، الذي سيصل حسب بعض التوقعات إلى الصفر، هو تعبير مباشر عن التناقض الحاد بين القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج، حد الإبادة. خصوصاً في ظل الأزمة العميقة العالمية، بتداخلها مع كورونا مؤخراً. واليوم ليست المسألة فقط هي استعادة النمو وتحرير القوى المنتجة، بل الحفاظ على الجنس البشري كله. وإذا ما استبعدنا مسألة استغلال القوى البشرية العالمية في الدول التابعة من قبل رأس المال العالمي عبر التقسيم العالمي للعمل، إلا أن هذا المستوى من

تطلبت البشرية حوالي 200 الف عام لتبلغ المليار الأولى بينما زيادة الـ6,7 مليار الأخرى فقد حصلت خلال الـ200 عام الأخيرة فقط!

# تحضير الأذهان للأوبئة العالمية!



خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أنتجت المؤسسات السينمائية الغربية، مثل: هوليوود وغيرها، العديد من الأفلام السينمائية التي تتحدث عن تفشي الأوبئة حول العالم، حتى أن بعض الأفلام صورت الموضوع من زاوية وصول البشرية إلى حافة الانقراض.

■ لؤي محمد

تختلف تلك الأفلام عن بعضها بتفاصيل السيناريو، ولكن بينها قاسم مشترك غريب! فالبطل الذي ينقذ البشرية من الانقراض هو واحد من اثنين: منظمة الصحة العالمية، أو الولايات المتحدة الأمريكية!

يصور فيلم التفشي outbreak قصة تهريب قرد مصاب بفيروس يشبه الإيبولا من زائير إلى الولايات المتحدة. يطلق القرد في البرية من مختبرات الحيوانات وينتشر الوباء بطريقة ما، ليفرض الجيش الحجر الصحي وحالة الطوارئ في المنطقة. بينما يتحدث فيلم «أنا أسطورة» عن مدينة تتحول إلى مسوخ تاكل لحم البشر نتيجة انتشار وباء غريب قضى على 90% من سكان الأرض. أما فيلم «حرب الزومبي العالمية» فيتحدث عن تحول البشر إلى وحوش «الزومبي» بسبب أحد الأوبئة، وهنا أيضاً ألقى الوباء بالصين، وفرضت حالة الطوارئ

في العالم، كما لم يخلُ الفيلم من الإشاعات الصهيونية وإهانة الشعب الفلسطيني، وكيل المديح لمنظمة الصحة العالمية التي تتوصل إلى المصل المضاد بعد جهود بذلها أشخاص من الولايات المتحدة وبريطانيا والكيان الصهيوني! هناك عشرات الأفلام السينمائية المشابهة التي تتحدث عن تفشي وباء ما حول العالم لدرجة موت غالبية البشر، ثم ظهور البطل الأمريكي أو

وساهمت تلك الصور والمشاهد السينمائية في تغطية الخطر الحقيقي الذي يهدد البشرية في كل شيء: الرأسمالية وأدواتها الدولارية والحربية. وعند ظهور وباء كورونا كانت الولايات المتحدة ومنظمة الصحة أشبه بالمنظومة المشلولة، بينما يشاهد العالم الانتصار الصيني على الوباء والمساعدات الكوبية للأوروبيين المحاصرين.

بطل منظمة الصحة العالمية، وفي جميع تلك الأفلام، تفرض الجيوش حالة الطوارئ في بلدانها. طوال العقود الثلاثة الماضية، حضرت هذه الأفلام أذهان البشر لفرضية انتشار وباء عالمي وفرض حالة الطوارئ والأحكام العرفية، ونضيف إليها الأفلام السينمائية التي تحاكي نهاية البشرية من زوايا أخرى: غزو فضائي، بركان عالمي، زلزال عالمي، فيضان عالمي، غزو حيواني ... إلخ.

## أخبار ثقافية

### كانوا وكنا



أصيب الدكتور عادل النكدي في معركة بالاء، واستشهد في معركة بيت سحم عام 1926 أثناء الثورة السورية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي، وكان الدكتور عادل النكدي من قادة الثورة ويرأس جريدة الأومانيتيه الشيوعية في فرنسا لتغطية أخبار الثورة وتأمين التضامن العالمي معها. كما انضم الرفيق فوزي الزعيم إلى صفوف الثورة السورية الكبرى في غوطة دمشق. في الصورة مجموعة من الثوار في غوطة دمشق عام 1925.



### تكنولوجيا مواجهة كورونا

أطلقت وزارة العلوم والتكنولوجيا الصينية منصة للخدمة العامة على الإنترنت لإصدار أحدث التقنيات والمنتجات لمكافحة وباء فيروس كورونا الجديد. وكشفت الوزارة عن 2000 منتج على المنصة في وقت سابق، بما في ذلك مجموعات اختبار سريعة لعدوى الفيروس، وأنظمة التشخيص المساعدة بالذكاء الاصطناعي، وآلات فحص درجة الحرارة الفعالة ومواد التنظيف الذاتي المستخدمة على الجدران والمصاعد والعلاج، والوقاية من الوباء ومكافحته، واستئناف العمل، وتوزيع المواد الطبية والمعيشية، وإدارة المجتمع. ما يوفر دعماً علمياً وفنياً للانتصار في المعركة ضد الوباء.



### مسرح عن بعد

دشن مسرح «سوفريميني» الروسي في مدينة موسكو مشروع أونلاين لعرض المسرحيات عن بعد على الإنترنت بعنوان «الدكتور تشيخوف». وجاء هذا المشروع حسب إدارة المسرح إصراراً من الفنانين الذين يسعون إلى الحفاظ على التواصل بالمشاهدين على خلفية القيود التي فرضتها بلدية موسكو على إقامة الفعاليات الاجتماعية والثقافية التي يحضرها أكثر من 50 مشاهداً. يذكر أن الموقع الرسمي للمسرح وشبكاته على التواصل الاجتماعي سينشر الساعة 7 مساءً كل يوم فيديوهات يقدم فيها الممثلون قصصاً مسرحية للكاتب الكلاسيكي أنطون تشيخوف.

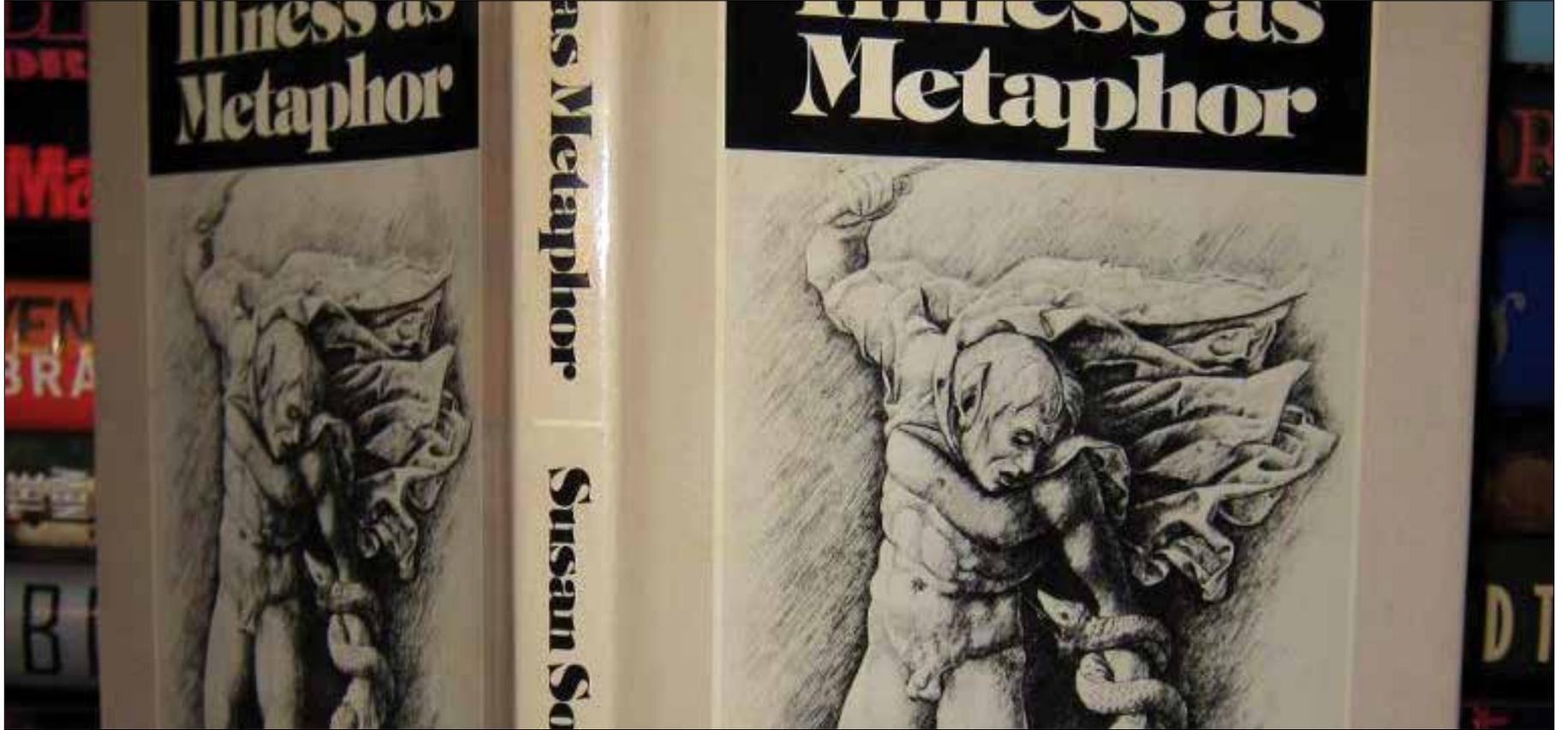
## للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الإسم	الهاتف	دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795	طرطوس	صلاح معنا	0999725141	الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
درعا	خالد الشرع	0968844820	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبوحماسة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
السويداء	هاني خيزران	0952769397	اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقبة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2020/03/21» «قاسيون» اصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

# الأدب في زمن جائحة كورونا



قراءة مقتضبة في تسعة كتب أدبية أرخت لأخطر الأوبئة والأمراض:

وقوى تنشيط الفن والأدب في هذه المذكرات المروعة.  
The Undying ، Anne Boyer  
(2019)

## ■ عبده حقي

نظراً لأن المزيد والمزيد من الدول تتصارع اليوم مع انتشار فيروس COVID-19 فقد يكون من الخطأ الفادح الاستسلام لمشاعر القلق أو العجز. لكن في زمن عدم اليقين هذا الذي نعيشه يلجأ في موقع أمريكي «قلم أميركا» إلى الأدب، لأن أعماله وإنتاجاته يمكن أن تساعد القارئ على فهم هذه المشاعر واستخلاص القوة من تجارب الآخرين.

على مدار التاريخ وحتى يومنا هذا، واجه الكتاب والأدباء الأوبئة والأمراض في أعمالهم الأدبية من أفلام الإثارة التي تثير أماننا ومخاوفنا إلى الروايات العميقة والشعرية التي تكشف عن حالات الإنسان الأليمة. وسواء كنتم أيتها القارئات وأيتها القراء تبحثون عن سياقات تاريخية للأوبئة أو المعلومات العلمية حول انتشار الأمراض، فإننا نأمل أن توفر هذه الكتب التسعة الأساسية التالية لحظة استراحة وإضاءة في خضم قلق تطورات جائحة العصر الحالية فيروس كورونا.

## «الخالدون» أن بوير

تروي الشاعرة المشهورة أن بوير تجربتها مع عدوانية السرطان.. إنها تجربة تأمل مثير في أعداد الوفيات وحالات المرض وغريزة البقاء. تستكشف بوير تجربتها إلى جانب السياسة وتأثيرات المرض والتكاليف البيئية والمادية للعلاج الكيميائي

## «فراق» لينغ ما

هو عمل يتميز بالحركة والتهور من جنس أدب الخيال العلمي الساخر، حيث يحدث عالم من الزومبي بسبب وباء. هنا تدرس الكاتبة ما الحياة المعاصرة والرأسمالية المتوحشة والثقافة المكتنبة بروح من الدعابة الجامدة والعين الراصدة والحريصة على الطقوس والصلابة التي تجبر بطلها على القيام بجهد أكبر من أجل البقاء في بيئة ما بعد نهاية العالم.  
Severance ، Ling Ma  
(2018)

## «أنا المتعدد» إيد يونغ

هو عمل أدبي يستكشف العلاقة المعقدة بين الميكروبات وبقية العالم الطبيعي، باستخدام عناصر العلم والتاريخ لشرح عجائب جسم الإنسان. وعن طريق استخدام الفكاهة والفكر يشجع يونغ قراءه على تحدي الطبيعة وكيف نعيش في العالم ليس كأفراد بل كمجموعات ذات علاقات مترابطة.  
I Contain Multities Ed Yong  
(2016)

## «المناعة والتطعيم» إيولا بيس

في هذه المجموعة المحفزة من القصص تتناول إيولا بيس مخاوف مجتمعاتنا المسائدة حول البيئة والمؤسسة الطبية بالاعتماد على تجاربها الخاصة باعتبارها أما جديدة لاستكشاف علاقتنا المعقدة بالمرض والعدوى. تستدعي بيس الفلكلور والتاريخ والعلوم في حساب اللقاحات والأمراض والترابط.

On Immunity: And Inoculation,  
Eula Biss (2014)

## «محطة إيليفن» إميلي سانت جون ماندل

تقع هذه المحطة في الغرب الأوسط بعد عقدين من تفشي وباء الإنفلونزا الذي قضى على الحياة الإنسانية وفك الحضارة.. تفكر محطة إميلي سانت جون ماندل إيليفن في إمكانات ما قد تظهره الثقافات والمجتمعات الجديدة في عالم ما بعد الكارثة من خلال وجهات نظر الفنانين المتحمدين. تعتبر محطة إيليفن كيفية البقاء بعد الانهيار الكبير، وكيف يمكن للفن أن يذكرنا بإنسانيتنا في مواجهة ظروف لا يمكن تصورها.  
Station Eleven, Emily St. John  
Mandel (2014)

## «المرض باعتباره مجازاً» سوزان سونتاج

في كتابها النظري النقدي «المرض باعتباره مجازاً» توظف سوزان سونتاج - التي عملت كرئيسة لمنظمة القلم في أمريكا من 1987 إلى 1989 - اللغة لوصف أمراض، مثل: السل والسرطان، وتنتقد الطرق التي تلجأ إلى الصمت والعار والبقاء اللوم على الضحايا الذين يعانون من المرض. في عصر أصبحت فيه مشاكل الصحة العامة عالمية بشكل متزايد، ويكون برهان وحجة سونتاج ذا صلة بشكل خاص في تحديد كيف تؤثر العنصرية وكره الأجانب و«الأخر» بشكل عام على واقع الصحة العالمية.

Illness as Metaphor, Susan  
Sontag (1978)  
«وعزفت الفرقة: السياسة، والناس ووباء الإيدز»

## راندني شيلتس

يعتبر أول كتاب هام جداً عن انتشار الإيدز، يتحدث فيه راندني شيلتس عن صناعة الوباء، ويستكشف الجوانب السياسية والاجتماعية والطبية التي أدت إلى أزمة الإيدز في 1980. مجموعة من التقارير الاستقصائية كيف ساهمت المؤسسات الأمريكية في انتشار الوباء والدمار الذي أعقب ذلك الانتشار.

And the Band Played On: Politics, People, and the AIDS  
Epidemic, Randy Shilts  
(1987)

## «الطاعون» ألبرت كامو

تعتبر رواية «الطاعون» وهي عمل كلاسيكي وجودي شهادة على قوة الصمود البشري في مواجهة الموت والمعاناة. يتطرق ألبرت كامو قصة الطاعون في بلدة ساحلية في الجزائر المستعمرة من طرف فرنسا لدراسة مدى تعقيد الحالة الإنسانية.

The Plague, Albert Camus  
(1947)

## «ديكاميرون» جيوفاني بوكاسيو

كتاب الـ«ديكاميرون» هو سلسلة من القصص المكتوبة في أعقاب الطاعون الأسود الذي ضرب إيطاليا، وهو تذكير بمدى أهمية رواية القصص للبشر في أوقات الاضطرابات. تحتوي الرواية على 100 قصة تقتفي خطوات شخصيات من طبقات وخلفيات اجتماعية مختلفة لاستكشاف - على نطاق أوسع في نهاية المطاف - كيفية عمل المجتمعات في مواجهة الأزمات الصحية.

The Decameron, Giovanni  
Bocaccio (1353)

على مدار التاريخ وحتى يومنا هذا، واجه الكتاب والأدباء الأوبئة والأمراض في أعمالهم الأدبية من أفلام الإثارة التي تثير أماننا ومخاوفنا